منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (2575) السنة العاشرة - الاربعاء (29) آب 2012

WWW. almadasupplements.com

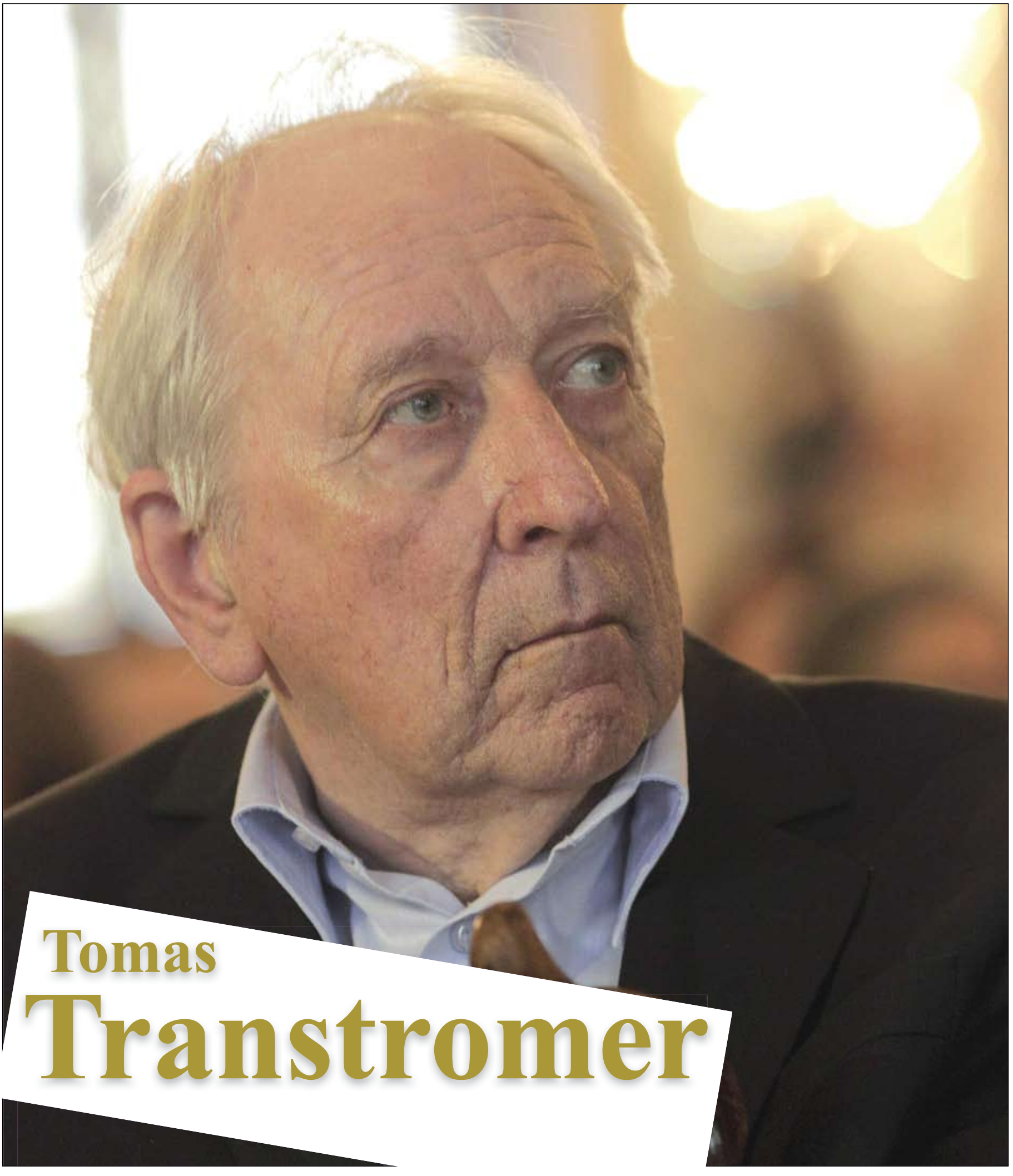

Tomas Transtromer

توماس ترانسترومر..الالتزام الجمالي

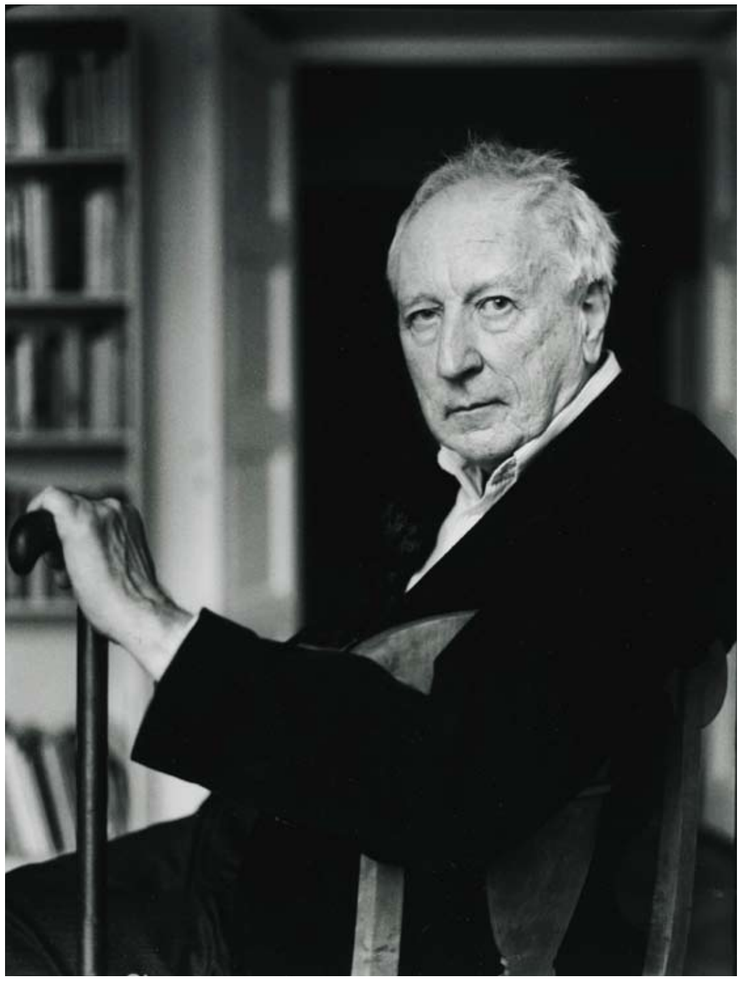

توماس ترانسترومر واحد من كبار شعراء السويد والعالم، استطاع حماية نفسه كشاعر وكفرد من ضغوط الالتزام. إنه شاعر ملتزم بأسلوب نموذجي بعيد عن الطابع المألوف للالتزام، اختار المكوث في المنطقة الجمالية ليأتي التزامه جماليا حتى في مقاربته للموضوعات ذاتها التي يكتب فيها الملتزمون التقليديون. لقد خرج بالصراع بين الشعري والسياسي لفائدة الشعر. إنه "لا يتحدث، إنه لا يصمت. إنه يفعل شيئاً آخر"، كما يقول سارتر بخصوص الشاعر، أي شاعر.

وفي الوقت ذاته لم يسلم ترانسترومر من انتقادات الملتزمين الذين اتهموه باعتزال العالم، رغم أنه كان مشاركا متحمسا في نوع من الصداقة مع العالم، العالم كله. وقد لاحظتُ في دراسة سابقة لشعره إنه صاحب انتاج كاف في منطقة التزام مختلف عمّا ألفّ الأدباء الملتزمون الاشتغال عليه آنذاك. فلم يظهر في شعره أي ملمح مما درج عليه الالتزام الواقعي، وبذلك كان تماما خارج التزام الستينيات، عندما كان من الصعب أن يكون الكاتب خارجا، طبقا لمنظور الستينيات الأيديولوجي. لذلك "تعرّض للوم بسبب من قلة اهتمامه الاجتماعي والسياسي".

علي ناصر كنانة

في كتابه (صياغات السفر) ذكر شيل اسبمارك إن ترانسترومر "سبق الشعراء الشباب بسنوات عديدة في تناول قضية الفنان ومسؤوليته السياسية ، بيدَ أنه فعل ذلك بأسلوبه الخاص، التزامه الجمالي، من خلال، على سبيل المثال، قصيدة (حلم بالاكيريف) في ديوانه (أسرار على الطريق – ١٩٥٨) الذي يعطي الأولوية للسؤال حول المسؤولية والالتزام في عالم ترانسترومر – ويفعل ذلك إبان ظاهرة تاريخية" .

ثلاثة عناصر تطبع شعر ترانسترومر: الهوية، أفريقيا، وحدة العالم.

إنه يعرّف نفسه من خلال شخصيات أجنبية (غير سويدية): ثوريو، غوغول، بالاكيريف، غراي، شوبرت، وفيرمير.

في صالة الكونسرت عُزف بلدٌ حيث الأحجار لم تكن أثقل من الندى. مع بالاكيريف غفوتُ أثناء الموسيقى وحلمتُ حلماً حول عربة القصر.

على خلفية السنة الدموية في روسيا ١٩٠٥ "يمكن للقصيدة – من خلال تاريخ كتابتها: ١٩٥٧ – أن تُقرأ كموقف أيضا في سياق تاريخي متأخر حيث السلطة الحديدية للدولة الروسية كانت متورطة في التراجيديا الهنغارية عام ١٩٥٦" .

وبرزت أفريقيا كثيمة مركزية في شعر ترانسترومر، من (رجل من بنين) في ديوانه "أسرار على الطريق – ١٩٥٨" إلى (الوقواق) في ديوانه الجندول الحزين – ١٩٩٦":

"جئتُ لأقابلَ
ذلك الذي يرفع قنديلهُ
ليرى نفسهُ في" .

وقد يخبّئ هذا المقطع الوجه الآخر للحقيقة، في سطره الأخير، كما أصوغهُ:

(ليراني فيه).

أن تستطيع الاختيار وأن ترى بناء على ذلك نفسك بلا ريب "تحرّر من سجن معتم" :

"حالة فقدان الهوية" .

القصيدة النثرية الوقواق، في ديوانه الجندول الحزين (١٩٩٦) تظهر التزاماً قوياً ومختلفاً:

"ثمة وقواقٌ يغرّدُ على شجرة البتولا شمالي المنزل. كان ذا صوت عال ظننتُ معه في البداية إنّ مغنياً أوبرالياً جُعل يقلّد الوقواق. مندهشا رأيتُ الطائر. ريش ذيله يتحرّك مع كلّ نوتة إلى الأعلى وإلى الأسفل، مثل مقبضي منفاخ. الطائر قفزَ – بقدميه كلتيهما، تلفّتَ وصرخ في جميع الاتجاهات. ثمّ ارتفع وطارَ فوق المنزل حاثا ومغرّبا بعيداً.. الصيف يشيخ وكل شيء يتحوّل إلى صرير كئيب. الوقواق يعود إلى المناطق الاستوائية. فموسمه في السويد قد انتهى. لم يكُ طويلاً؛ ولا تثريب، فالوقواق مواطنٌ في زائير.. لم أعد مغرماً في السفر. لكن السفر يزورني. الآن عندما أحشرُ أكثر فأكثر في زاوية، عندما تتكاثر حلقات السنين، عندما أحتاج نظارة القراءة. دائما ما يحدث ذلك بأكثر من طاقتنا على الاحتمال! لا يوجد ثمّة ما يُدهش. هذه الأفكار تحملني بالإيمان الراسخ ذاته الذي حملَ به سوسي وشوما موميا لايفينغستون عبر أفريقيا" .

السويد وزائير يتواجدان تحت السماء ذاتها في عالم واحد. الأنا الترانسترومرية "لم تعد مغرمة في السفر". لكن ذلك لا يعيق الصلة بالجزء الآخر من العالم. وإذا لم تذهب الأنا إلى زائير تأتي زائير إلى الأنا: "السفر يزورني". تشعر الأنا بأنها مخترقة بالإقامة في أفريقيا: تلكم الأفكار تحملني بالإيمان الراسخ ذاته الذي حملَ به سوسي وشوما موميا لايفينغستون عبر أفريقيا .

في تحليله للقصيدة كتب شيولر:

سنوات الحياة توقفت. الوقواق يواصل طيرانه إلى سفوح بلاده، بعيدا في قلب أفريقيا، المنظور المتغيّر للعلاقة الحقيقية التي غالباً ما تتنّسى في نصوص ترانسترومر. الوقواق يوضع في مقابل المتأمل، مثلما زائير في مقابل السويد، مثلما حاضر الأنا مقابل الماضي: "لم أعد". الحياة تأتي في زيارات قصيرة، تشكل من خلال ضيافة الوقواق المليئة بالحياة ولكن المحدودة (....). هنا يعاد ربط الأنا بالوقواق من خلال ربط زائير بالطريق التي حُمل عليها الجسد الميت لايفينغستون، سفرة الوقواق إلى الوطن إلى زائير تصبح بذاتها بقيمة سفرة الأنا إلى الموت" .

وكما سفرة الوقواق إلى زائير بذات قيمة رحلة الأنا إلى الموت، يمكن ترجمة ذلك بأن زائير بذات قيمة الأنا. والناس هناك "موتى" . وهذا يدّعم فرضية حذرة من قبلي كتابة عن العالم الآخر: الجزء الآخر من العالم: خلف الحدود: خلف الجدران. وإذا صحت تلك الفرضية، يعني ذلك إن شعر ترانسترومر يدعونا إلى قراءة أخرى.

العنصر الثالث في عالم ترانسترومر الشعري يعكس الالتزام الجمالي للشاعر في شؤون العالم ليصرخ بوحدة العالم:

إنه لموجعٌ اجتياحُ الجدران، وقد يُمرض
بَيْدَ أنه ضروري.
العالم واحد. لكنها الجدران ...
والجدار جزء منك –
تعلم أو لا تعلم لكنه هكذا بالنسبة للجميع
ما عدا الأطفال. بالنسبة لهم لا جدار.
إنه لمؤلم أن تعبر الجدران، لكنه عبور ضروري ليحصل المرء على حقيقتين مجتمعتين:
حقيقتان تقتربان من بعضهما البعض.
واحدةٌ قادمةٌ من الداخل
وأخرى قادمة من الخارج
وحيثما تجتمعان يتسنّى للمرء أن يرى نفسَه.

وبذلك يحقق وحدة العالم على مستوى شعري. الجدار هنا مرادف لمفتاح شعري آخر لدى ترانسترومر: "حد" (أو حدود). وقد بنيت قصيدة فيرمير حول ذلك حيث أشبع مفهوم "حد"، في هذا النص لمرات عديدة كجدار. حد يفصل وحد يمكن عبوره من أجل كليّات أكبر" . "العالم واحد. لكنها الجدران..." التي تقسم العالم إلى اثنين. "وكلاهما غير محميين. الأول محطم بشكل مباشر، والآخر مهدّد بالاقتراب من الآخر. وفي المقطع الأخير يظهر من الخارج شيء ما، كسلطة ثالثة، يستطيع تحقيق فرضية أن العالم واحد" .

ستيفان سيدربلوم يعتقد أيضاً بأن بعض أشعار ترانسترومر "تظهر في مكان ما بعيد جداً من هنا، في الجانب الآخر من الجدار" . ولعل استقصاءً بسيطاً يستطيع أن يظهر عشرات القصائد التي تعالج الصورة الحقيقية للعالم على جانبي الجدار، خصوصاً على الجانب الآخر. قصائد مثل مساء ديسمبر – ٧٢، خفارة ليلية، كاريللون، الجزر الشرقية، أصدقاء خلف الحدود، أزهار الشقار، ألف وتسعمائة وثمانون، على طول نصف قطر الدائرة، أزمير في الساعة الثالثة، صياغات السفر، سايروس، في دلتا النيل، شوارع في شنغهاي، ليسابون، وبيرسيوس تشكل كلها تنويعات منسجمة من هذه الصورة.

وقد كانت مجموعة ترانسترومر (رنين وآثار، ١٩٦٦) باعثاً لنقد عنيف من قبل بيورن هوكانسون:

"إذا ما رأينا لدى الفرد العام فقط وفي التاريخ مجرد أشياء وحالات، إنما نقر بموقف سلبي تأملي للعالم، الذي بطبيعة الحال يسكب تجربة جذابة من مسافات بعيدة وسكينة كونية ولكن تكلفتها كل تلك النزوات في أن تتدخل في الأحداث وتغيّر العالم. لا توجد بالتأكيد أية أحداث، فقط أشياء، وهي بعيدة، جميلة وصور مجهولة، ليست حياة فضولية أو شروطا من أجل الحياة" .

بدلا من الالتزام الجمالي (موقف تأملي إزاء العالم) يطرح هوكانسون هنا شروط الالتزام الواقعي (حياة فضولية أو شروط من أجل الحياة). إنه ينكر "المسافات البعيدة" لدى الالتزام الجمالي ويقبلها لدى الالتزام الواقعي/ السياسي، بشروطه السياسية وليس بشروط الشعر. وبنقد مماثل يهاجم الالتزام الشعري لدى ترانسترومر حيال العالم:

"هذا التنويع الإنساني الصافي لا يصبح أكبر بأن هكذا قطعات ملوّنة تغطي الكرة الأرضية كلها في ليسابون، في الكونغو، في أوكلاهوما، أو في الرونيج. بعد حين تصبح أصغر. إن ثبات جامع الصور المستوحش لا تستطيع أن تُصوّر بأوضح من حقيقة إنه يجد تماما هذا النوع من الصور الإنسانية ذاتها في أفريقيا كما في السويد" .

لعلّ هوكانسون، بوعي أو بدون بوعي، يدخل في إطار "الرقابة التي تجزّئ وتزوّر اللغة" .

التفكير الملتزم للستينيين صنّفَ الشعر، بعيداً عن اللغة، إلى حقائق غير شعرية. التحدي الشعري، كما أظن، هو كما لو أن الشاعر يتمسك بموقف محلق على السياسة وغير الشعري عموماً. ماغنوس راينغرين لاحظ إن شعر ترانسترومر يتواجد دائما خارج أرضيات السلطة. عندما يقع تحت الضغط ينشد الهجرة .

يدرك ترانسترومر ويفعل ما يتعين على شاعر كبير فعله، في أن يكون باصطلاح سفانيرغ: لائقاً (أي القائل بالملاء). ففي محادثة مع توماس لاغرستريم أجاب ترانسترومر:

"السياسة، أحداث العالم، المجتمع، لعبة السلطة، لا مفر منها. كل ذلك يوجد كذلك في كتبي الأخيرة. وهذا كما هو جلي ليس سؤالاً حول ما الذي يكتبه الكاتب وإنما كيف يكتب. في صالونات الشباب كان دائماً العديد من الذين ويَخوني لأنني "معتزل العالم"، وما شابه. إنهم يريدونني أن أكتب بأسلوب سياسي، استخدام اللغة السياسية. في الحقيقة سيسمح لي بالكتابة حول أي شيء، الأزهار والنحل، ولكن علي أن أفعل ذلك فقط بأسلوب سياسي" . لكن لغة الشعر، لغتي الشعرية، تحوّ معناها عندما تنخرط في واقع سياسي، دون أن تُسيّس. أعني باللغة السيّسة عندما تصبح اللغة عنصراً من أجل الإرغامات، عنصرا لاستغلال الناس. أن أقدّم بديلاً زائفاً (إذا لم تختر "أ" إنما تكون قد اخترت "ب" . (...) أريد أن أرى اللغة الشعرية التي تحرّر الإنسان بدلا من أن تقيّده" .

السؤال الجوهري هنا هو ليس ماذا نكتب وإنما كيف نكتب. إنه السر الكامن في الكتابة. ماذا نكتب: هو هدف الالتزام وليس الشعر. البحث عن معنى مسيّس شيء آخر عن البحث عن الجمالي. ولذلك "ينبغي بشكل مطلق أن لا يُستخدم الشعر للتعبير عمّا هو أفضل للتوصيل في رسالة، مقال أو دراسة. ينبغي أن يكون الشعر صوت الفرد وليس بحاجة لئن يعكس كل شيء مما ينخرط (يلتزم) به الكاتب" . يكشف ترانسترومر عن "البديل الزائف" الذي يطرحه الالتزام المسيّس. وفي الوقت ذاته يضع الحد بين الإلتزام الواقعي والإلتزام الجمالي، بين "أن تُحرّر الإنسان" و "أن تقيّد الإنسان" .

وفي مواجهة توبيخه كمعتزل للعالم يتحكم ترانسترومر بحزنه ويتوجه للدفاع. ففي رسالة إلى جيرار يونيبر في ٢٠/١١/١٩٦٦ يواجه ترانسترومر الهجوم النقدي على مجموعة (رنين وآثار) في أنه لم يكن أبدا "شخصاً غير ملتزم اجتماعياً بلا حول ولا قوة" وإنما صاحب الرقم القياسي السويدي في الميدان الاجتماعي وفي جبهة مجحودة .

وبعد عشرة أعوام يكرّر ترانسترومر الخطاب ذاته كما وردّ في شهادة اسبمارك:

"منذ منتصف الخمسينيات حتى الفترة الأخيرة توجد شواهد غنية حول الدور الأساسي، ماذا يعني المشكل السياسي والمجتمعي عند ترانسترومر، وهذا ليس نادراً مع توضيح حول زاوية الرؤية التاريخية التي يجب أن تُرى القضايا المعاصرة منها. في ندوة بهذا الخصوص عُقدت في ستوكهولم عام ١٩٧٦ صرّح ترانسترومر بأنه شعرَ طيلة الوقت بمطلب الالتزام، أي عندما أصبح نفسانياً، لقد التزمْ بحياته" .

ولا أرى من الضروري أن يدافع ترانسترومر عن نفسه. فالقصيدة ذاتها، كما أعتقد، تملك آليات دفاع خاصة بها:

– روح الفن: المغايرة (دريدا).
– اللغة الشعرية: لغة جديدة في اللغة (مالارميه).
– البُعد المتغيّر للدلالة (سوسير).
– السياق الجمالي.

لماذا يدافع المرء عن نفسه في غياب الخطأ؟ والشعر منشور، وعلاني ولم يعد خاصاً. إنه يصبح، بعد نشره، وحدة مستقلة في فضاء الأدب. وإذا كان التوبيخ موجّهاً إلى ترانسترومر كفرد سيكون الدفاع صالحاً ومتطابقاً مع وعي محتمل في أن ترانسترومر يميّز بين الشاعر كشاعر والشاعر كفرد حيث يخص هذا الدفاع الفرد هنا. ولكن، كما أعتقد، إن الخطاب جاء كجواب غير مباشر على نقد ترانسترومر كشاعر، خاصة ما كتبه هوكانسون حول (آثار ورنين).

بعد عشر أخرى (١٩٧٦) يؤكد ترانسترومر على الدفاع ذاته: أي أن "الفرد" يدافع عن "الشاعر" بوسائل غير شعرية. وهو دفاع لم يكن ضروريا لأسباب التالية:

– القصيدة مستقلة وذات قوة دفاع كامنة.
– الشاعر يستطيع أن يدافع ويعارض كما يشاء في المنطقة النظرية النقدية، لكنه لا يجوز له أن ينخرط (أو يحاول أن يكشف) البنية اللغزية للقصيدة.
– الشاعر يستطيع كفرد أن يكون حرّاً خارج عالم القصيدة، فهو عضو في جماعة مما يبيح له الظهور بأي أسلوب كان في علاقته بالآخر، أفرادا أو مجتمعا.
– الشاعر يستطيع كفرد، في تماثل مع شخصه الشعري، أن تكون له زاوية نظر لا تُساءل من قبل المحيط.
– الشعر التزام مكتف بذاته، قوته الروحية تندمج في الوعي الجماعي وتشتغل كقوة دفع في التطوّر الروحي.

أعتقد إن ترانسترومر بوعي لكل هذه النقاط وبإخلاص لوعيه الشعري يؤكد بالنقيض من "اللغة السياسية المألوفة"، إن "قوة الشعر تكمن في التكثيف" . وفي السياق ذاته استطاعت تورستين رونرستراند ببراعة تعريف الالتزام الشعري (الجمالي) الذي نحاول هنا ترجيحه:

"الغريب في الشعر إنه يعلّمنا أن نحلّ معادلاتنا بأنفسنا. لذلك إن الشاعر الكبير على الدوام ثوري، حتى لو كتبَ حول الثلج والأشجار المتسلقة. إنه يزعزع الثابت على مهل، ليس من خلال التحريف، وإنما من خلال تعليمنا كيف نرى. شاعراً كهذا هو توماس ترانسترومر" .

في السنوات الأخيرة ظل اسم الشاعر أدونيس يتردد في أخبار جائزة نوبل..واستمرت قبل اعلان الجائزة الاخيرة عدد من الصحف العربية ومواقع الإنترنت تنشر أخبارا عن ترشيحه للجائزة ضمن قائمة شملت أربعة آخرين، ابرزهم الشاعر السويدي توماس ترانسترومر والروائي الياباني هاروكي موراكامي صاحب الرواية الشهيرة كافكا على الشاطئ، فيما زميلتنا القاصة القديرة ابتسام عبد الله كانت تبشر بفوز أدونيس حين كتبت في المدى تقول:

علي حسين

العراقيون أول من عرف بالشاعر ترانسترومر وترجموا أعماله للعربية

إن أدونيس بعد فوزه بجائزة غوته الأدبية الألمانية في أوائل هذا العام، يبرز اسمه بين المرشحين الأوفر حظا لجائزة نوبل للآداب لعام ٢٠١١، هكذا ارتفعت معنوياتنا نحن العرب على أمل الحصول على هذه الجائزة الأدبية الرفيعة للمرة الثانية بعد أن حجز الروائي الكبير نجيب محفوظ المقعد العربي الأول بين الخالدين عام ١٩٨٨.

ومبعث هذا الأمل إن مؤسسة ثقافية بحجم الأكاديمية السويدية حين تضع عينها على أحد فإن قطار الجائزة حتما سيصل إلى محطته، إلا أن الانباء دائما ما تحمل لنا مفاجأة لكنها سارة بالتأكيد، فالجائزة التي طالما اتهمت بأنها مسيّسة وتذهب أحيانا إلى شخصيات أدبية مغمورة، عدلت من مسارها لتذهب إلى واحد يعد أعظم شعراء هذا العصر، إنه العجوز السويدي الصامت توماس ترانسترومر البالغ من العمر ٨٠ عاماً لتكون بذلك قد توجت جهود هذا الشاعر الكبير الذي ظل يتصدر قائمة المرشحين للجائزة طوال اكثر من عشرين عاماً، وقد جاء في بيان اللجنة أن الجائزة منحت لشاعر أعطانا مدخلا جديدا للواقع من خلال صوره المكثفة الشفافة، وأضاف البيان: إن "غالبية دواوين ترانسترومر الشعرية تتسم بالإيجاز والوضوح والاستعارات المعبرة.

هذه المرة وإن خذل السويديون العرب لكنهم أفرحوا العراقيين الذين كان لهم السبق في تقديمه للقرّاء العرب، هذا الشاعر الذي ظل على مدى ستين عاما مخلصا للشعر وللموسيقى، ولهذا من الصعوبة أن نفرق بين كلمات ترانسترومر وصوت الموسيقى المنبعث منها، ففي كل عبارة تجد موسيقى، حيث يبدو الشاعر وكأنه يبحث في طريقه عن إيقاعات في كل ما يلقى على الطريق أو يهمل أو يعتبر عاديا أو مستهلكا أو مهجورا أو غير

مصقول. كل ذلك يجد ه ترانسترومر ويلتقطه ويتأمله. ربما لهذا استطاع ترانسترومر وبجدارة من أن يتخطى الشعر، إلى شعر يستطيع تشكيل الأشياء، اليوم يجلس ترانستومر على كرسه وعلى محياه المحتدم سيماء الرضا والحبور والقلق والنشوة..، هو الذي ترجم شعره إلى أكثر من ٥١ لغة في العالم، ووصفه الشاعر جوزيف برودسكي "الحائز على جائزة نوبل ١٩٨٧" بأنه شاعر من الطراز الأول. وقال ديريك والكوت (نوبل ١٩٩٢): "إن على لجنة نوبل ألا تتردد في منح ترانسترومر جائزتها". ووصفته المجلة الفرنسية الجديدة بأنه "الشاعر الذي يحتضن العالم السحيق ويعلمنا أن نحسّ في لعثماتنا الهازئة اختلاجات لغة لا

تُنسى". وقالت عنه لجنة جائزة نيستردات العالمية بأنه "واحد من الشعراء الأكثر تفرداً في هذا العصر".. وقال عنه آخرون، وآخرونا، الكثير، الكثير، شاعر لايزال شاهدا على عقود من الزمن بكل تناقضاتها، حياة ابتدأت مع صعود النازية وامتدت لترى أفول إمبراطوريات، رجل عاش حياة أشبة برواية من روايات كاتبه المفضل كونديرا. ولد في ١٥ نسان/ابريل ١٩٣١ في ستوكهولم وقد تولت والدته تربيته بعد رحيل والده المبكر.

حصل على إجازة في علم النفس عام ١٩٥٦ وعمل في المعهد النفسي التقني في جامعة ستوكهولم قبل أن يهتم في ستينات القرن الماضي بشباب جانحين في معهد متخصص.. بموازاة انجاز أعمال شعرية غنية، عمل مع معوقين وسجناء ومدمني مخدرات.

في سن الثالثة والعشرين أصدر وهو لا يزال طالبا، ديوانه الأول بعنوان "١٧ قصيدة" لدى أكبر دار نشر سويدية "بونيرز" الذي بقي مرتبطا بها طوال حياته الأدبية.

وترى دار النشر هذه إن شعر ترانسترومر "بشكل تحليلا متواصلا للغز الهوية الفردية في وجه التنوع المتفرع للعالم".

حاز عام ١٩٦٦ جائزة بيلمان العريقة ونال بعدها مكافآت عدة بينها جائزة بيتراك "ألمانيا عام ١٩٨١" ونويشتاد انترناشونال برايز "الولايات المتحدة عام ١٩٩٠".

في ١٩٩٧ استحدثت مدينة فاتيراس العمالية حيث عاش ثلاثين عاما قبل عودته إلى ستوكهولم في تسعينات القرن الماضي جائزة ترانسترومر.. وقد صدر له زهاءعشرة دواوين.

اصيب توماس ترانسترومر العام ١٩٩٠ بشلل نصفي وصعوبة بالنطق اثر سكتة دماغية مما اضطره الى الحد كثيرا من نشاطاته.. واصدر بعد وعكته الصحية هذه بست سنوات ديوانا بعنوان "جندول الحزن" الذي بيعت ٣٠ الف نسخة منه وهو رقم جيد على صعيد الشعر.

إنني شجرة قديمة ذات أوراق ذابلة، لكنها تبقى متشبثة ولا تسقط على الأرض"، هكذا عبر ترانسترومر عن نفسه وهو يسمع ترشيحة للجائزة الذي تكرر لاعوام طويلة، وليضع إجابة قاطعة للأسئلة التي تدور في أذهان مريديه بخصوص إن كان ترانسترومر سيكون على قيد الحياة حين يأتي موعد جائزة نوبل وإن كان سيحصل عليها أم لا؟.

الشاعر الذي أعاد نوبل إلى السويد

قاسم حمادي

يجلس الشاعر السويدي توماس ترانسترومر على كرسي البيانو في شقته في استوكهولم ويعزف بالشمال، فيده اليمنى مشلولة على أثر جلطة دماغية أصابته مطلع التسعينيات وعطلت بعض أعصابه، لكنها لم تؤثر على شعره وفنه. كنت كلما أصل الى باب شقته المطلة على بحر استوكهولم وأسمع صوت البيانو، أعرف أنّ توماس في ذروة نشاطه، وأنه سيشرح لي بطيب خاطر، بعض المقاطع المستعصية من شعره. فقد كنت آنذاك منكبا على ترجمة أعماله الشعرية الكاملة من السويدية الى العربية. حالما تفتح زوجته مونيكا الباب، يتوقف توماس عن العزف، يرفع رأسه ويبتسم ابتسامته العريضة مرحّبا، حريصاً على كل جملة ومعنى. وعندما يشعر بأنّ زوجته مونيكا أو أنا لم نفهم معنى بعض الكلمات، يطلب ورقة بيضاء، ويروح يكتب بعض العبارات ويرسم ويخربش إلى أن يوصل المعنى الحقيقي لأشعاره.

بعد أقل من سنتين، انتهينا من ترجمة الأعمال الشعرية الكاملة. ثم أعاد الشاعر الكبير أدونيس قراءتها ووضع لمساته الشعرية عليها. جميل أن ترى نفسك بين قطبين من أهم أقطاب الشعر العالمي أدونيس وترانسترومر. لكن الشعور بالمسؤولية أكبر. نصوص ترانسترومر كانت دوماً مرشحة لـ«نوبل»، وهذا وحده يضاعف حجم الثقل الأدبي للترجمة. علمني شعر ترانسترومر أن أقترب أكثر من الطبيعة وأفهم تفاصيلها. أدخلني في فك رموز شعر الهايكو الجميل، وأغناني بمعلومات تاريخية يمر فيها الشاعر، علمني التعامل مع الرموز التي تدخلك إلى أعماق القصيدة.

بعد سنوات مع الشعر المقتضب، إنما الكبير بحجم الانسانية، قطف ترانسترومر أخيرا جائزة «نوبل». كنت كلما تحدثت عنه حول الموضوع، أجابني «أتمنى أن يحصل عليها أدونيس، فهو أحق فيها من أي شاعر آخر». ويبتسم ثم تدخل زوجته على الكلام، وتضيف: «أمنيتي وأمنية كثيرين أن يتقاسم ادونيس الجائزة مع توماس. هما يستحقانها بجدارة وبهذا نحتفل بهما معاً».

أدونيس بعث أمس برسالة الى هاتف توماس الخلوي مباركا له بالجائزة. لكن الخبر كان مفاجئا لكثيرين. توماس نفسه كان يعتقد أنّ الأكاديمية لن تعطي الجائزة لكاتب سويدي بعد الذي حصل مع هاري مارتينسون الذي انتحر بعد حصوله على نوبل للآداب عام ١٩٧٤. ومنذ ذلك الوقت، لم تمنح الجائزة لأي كاتب سويدي. لذا، فحصول ترانسترومر على «نوبل» له قيمة معنوية للشعر الذي يعيش مرحلة جمود، وهو أحوج ما يكون إلى نسمة تنعشه من جديد، كما بددت الغيمة القاتمة التي تركها انتحار مارتينسون.

وإذا كانت العادة قد درجت على أن تثير «نوبل للآداب» غالباً، سجالاً لا بدّ منه حول شخصيّة الفائز بها، روائيّاً كان أو مسرحيّاً أو شاعراً، فإن اسم ترانسترومر يكاد يحقق الاجماع حتى الآن. كأن باختياره لهذا التكريم الرفيع، سيبث شعور الفرح والاعتزاز لدى أقرانه، لأنه يستحق الجائزة منذ أكثر من ٢٠ سنة. شعره الانساني ذو الابعاد المتنوعة الجميلة مميز بلونه وأسلوبه. كما أنّ شخص ترانسترومر المتواضع والكريم والانساني يجعله أقرب الى القديسين المسالمين.

أدونيس يقدم ترانسترومر

– ١ –

إذا كانت الصورة «فجر الكلام»، كما يقول باشلار، فإننا نجد هذا الفجر في شعر توماس ترانسترومر. ولئن كان التعبير الحي يرتبط بالقدرة على إبداع الصور، فإننا نجد كذلك في هذا الشعر مثالا فريداً عن هذا التعبير.

– ٢ –

المجاز مقترناً بالايجاز،
والحداثة، موصولةً بالكلاسيكية،
والغريب، تابعاً من الأليف:

تلك هي ثنائيات في شعر توماس ترانسترومر، أعدها مفاتيح أساسية للدخول الى عالمه الشعري، وللإحاطة به، فقلما اجتمع الإيجاز والمجاز عند شاعر كما يجتمعان عنده. وقلما نرى هذا الاقترانَ العضوي بين التأصل في الصرامة الكلاسيكية، والانفتاح الأصيل على لغة الحداثة، رؤيةً وكتابةً، كما نرى في شعره. وفي هذا كله، يبدو الأليف غريباً كأنه يُخلق للمرة الأولى. ويبدو الغريب أليفاً، كما لو أنه يولد أمام أعيننا، وبين أحضاننا.

– ٣ –

الطبيعة، الجذر، الشجر، العشب، البحر، الغيم، المطر، الثلج، الحجر، الطير... الخ، أشياء الحياة اليومية، من أبسطها الى أكثرها تعقيداً، الأشياء التي أدى العلم والتقنية الى ابتكارها واستخدامها: هذه كلها، هي مادة الشاعر – اضافة الى عوالم الأنا الداخلية، عوالم الشعور والمخيلة، القلق والبحث والتساؤل.

يختبر هذا كله، يعيد النظر فيه، ويمنحه شكلاً آخر ومعنىً آخر. بحس زمني تمتزج فيه الأزمنة، ويمتزج فيه الواقع بالمخيلة. وبحس تاريخي، أفقي وعمودي، وبنبرة تبدو كأنها إيقاع اللحظات التي نعيشها يومياً.

– ٤ –

يتبطن الحس الشعري عند ترانسترومر حساً علمياً. فيما نقرؤه، نكتشف أن العلم في شعره نوعٌ من الجمالية اللامرئية، تواكب خفية جمالية الشعر المرئية. وفيما نقرؤه في حركيته المجازية، نتبين كيف أن الواقع يبدو كأنه ليس هو الذي «يخلق» الشعر، بل إن الشعر هو الذي «يخلق» الواقع. ويتجلى لنا كيف أن الواقع لا يبدو إلا متحركا، كأنما هو حالات متتابعة، كما لو أنه يتكون في رؤية متحولة خيالية مجازية. ويخيل الينا ان اللغة – المجاز، أوْ اللغة – الصورة، هي، في آن، بيت الواقع، وبيت الإنسان، وبيت العالم. وأن اللغة نفسها «تواقة للتغيير»، وفقاً لتعبير ميرلو بونتي. وأن المجاز ليس مجرد خرق للعادة، وانما هو كذلك خرق للنظام القائم، نظام العلاقات بين اللغة والأشياء.

يمكن القول، في هذا المنظور، إن شعر ترانسترومر قراءةٌ «علمية» لشعرية العالم أو «لروحه»، وقراءةٌ شعرية لعلمية العالم، أو «لمادته». وهي قراءة تتم على الحد الذي يفصل ويجمع في آن: الأشياء التي يتعذر التعبير عنها من جهة، ولا يمكن الصمت عنها من جهة ثانية، كما يعبر، أي بين القول المستحيل والصمت المستحيل.

في هذا كله، لا يفارقنا الشعور بأن الشعر والعلم غير قادرين على «إدخال» الشيء في الكلمة. فلا يدخل في الكلمة غير الظاهر، والعرضي العابر. أما «الجوهر» فيظل عصياً وغامضاً. ومن هنا أهمية الحساسية «الصوفية» الخفية في شعره. من هنا كذلك، نفهم الحس الذي تقوم عليه جملته الشعرية: الكثافة والشفافة في آن.

– ٥ –

للقصيدة عند توماس ترانسترومر حضورٌ واقعيٌ يُلمس فيه نبض الأشياء بتفاصيلها، ومجازي يتحول فيه الواقع الى مخيلة. كل قصيدة لوحة: ظاهرها مركبٌ مضيءٌ من جزيئات الحياة اليومية، وباطنها إشعاعات وإشارات وتخيلات.

انه حضورٌ يضع القارئ مباشرة في أحضان الكون. الكون مصغراً واقعيٌ في جسد القصيدة، أو هو نفس مبثوث فيها. انه حضور يجعل القارئ حاضراً هو كذلك، داخل ذاته، وفي الكون.

وليس هذا مجرد حضور فكري. انه كذلك وقبله، حضورٌ جمالي؛ تُفصح عنه العلاقات المفاجئة التي يقيمها بين الكلمة والكلمة، وبين الكلمة والواقع، والتي تبث في القصيدة الحيوية والإشعاع. هكذا نشعر أن المسافة التي تفصل الذاتية عن الشيء، أو التي تصل بينهما، هي نفسها المسافة التي يتعانق فيها الأنا والآخر، بطريقة تتحول فيها هذه المسافة نفسها الى معانقة تغيب فيها الحدود والمسافات.

فلأنه كان يدرك أن الشعر يفقد أعمق ما فيه عندما تصبح الغاية منه إيصاله أو نقله الى الجمهور. فعندما يختلط أو يتوحد الشعر بالحدثي العابر، أو عندما يتحول المُبتذل الى وسيلة لتسليط الضوء على الشعر ومنحه الشهرة، فإن الشعر هو نفسه يصبح مبتذلاً. الشعر نفسه هو الضوء، وهو في ذاته الإضاءة. وهو، إذا، يحتاجُ بالأحرى، الى الظل، ويحتاج، خصوصاً، الى الإقامة في الليل، ليل الحاسة، والمادة، والالمرئي. ولا يعني هذا، في أية حال، انفصاله عن الحياة، وانسلاخه من قدرته على التأثير في التاريخ. وإنما يعني، على العكس، انفصاله عن السائد، فكرا وعملاً، خصوصاً أن العمل، اليوم، يُمليه ويحركه فكر زائف يتمثل في الإعلام والدعاوة، وأن التاريخ السائد مجرد أحداثٍ عابرة، بفعل وسائل الإعلام ذاتها.

– ٦ –

يبدو الواقع الكوني في شعر ترانسترومر مرتبطاً بحياته اليومية، حاضراً في تجربته الكتابية والجمالية. ومع أن القضايا التي يلامسها أو يثيرها في شعره غير تجريدية، بل واقعية، فإنها منفصلة، جذرياً، عن ابتذالية الإلتزام السياسي الإيديولوجي. أنها مأخوذةٌ بواقعية الإنسان في كينونته. والبشر في هذه القضايا هم بشر الحياة اليومية. لا يتزينون بالسياسة، ولا يزينونها. لا يرفعون بيارق النضال، ولا يهزجون لأساطيره. انهم بشر البيوت والشوارع. بشرُ العمل، والتأمل، والعزلة. بشر الوجود بأبهى كلها، وعذاباته كلها، وأفراحه كلها. ونُسغ التساؤل والحيرة والقلق متدفقٌ في شعره. ذلك أن النظر الى واقع العالم، أو واقع البشر لا يمكن، إذا كان عميقاً وحقيقياً إلا أن يجري فيه هذا النسغ المأساوي أو التراجيدي.

وإذ عرف توماس ترانسترومر كيف يصون شعره من الابتذال السياسي – الإيديولوجي،

من ذكريات ترانسترومر

ترجمة حسين عيد

عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري، أصبت بشكل حاد من القلق خلال فصل شتاء كنت محاصرا بنور كشاف لا يشعّ ضوءا بل ظلاما كنت أقع في شرك بعد ظهر كل يوم، مثل هبوط شفق ولا يفرج عني من تلك القبضة الرهيبة حتى بزوغ فجر اليوم التالي نمت قليلا جدا، وعادة ما أطلت السهر في الفراش مع كتاب ضخم الى جواري قرأت عديدا من كتب ضخمة في تلك الفترة، لكنني لا أستطيع القول أني قرأتها حقا لأنها لم تترك أي أثر في ذاكرتي كانت الكتب مجرّد ذريعة لترك النور مضاء

بدأ الأمر في أواخر الخريف ذهبت ذات ليلة الى السينما، وشاهدت فيلم أيام مهدورة الذي يدور حول الكحوليات ثم يتحوّل الى حالة هذيان، سلسلة مروّعة ربّما أجدها اليوم صبيانية الى حدّ ما لكن ليس في ذلك الوقت

بينما رقدت لأنام، أعدت استعادة الفيلم في ذهني، مثلما يفعل أي فرد بعد ذهابة الى السينما

فجأة توتر جوّ الغرفة برهبة استحوذ على شيء ما كليّة وعلى حين غرة بدأ جسدي يهتز، وخاصة ساقيّ كنت لعبة أوتوماتيكية عصبية راحت تهتز وتقفز بلا حول ولا قوة كانت التشنجات خارجة تماما عن سيطرة ارادتي، حيث لم يسبق لي أن عركت شيئا من هذا القبيل صرخت طلبا للنجدة، وجاءت أمي على أثر صراخي وتدريجيا انحسرت التشنجات ولم تعد ثانية، لكن رهبتي ازدادت كثافة، ولم تتركني وشأني من الغسق حتى الفجر كان الشعور الذي هيمن علي ليالي هو رعب فريتز لانج الذي اقترب من اصطيادي في مشاهد معينة من فيلم عهد الدكتور مابوس خاصة مشهد الافتتاح حيث يختفي شخص ما وسط أعمال مطبوعة، بينما تهتز الآلات وكل شيء آخر وسرعان ما تعرفت على نفسي فورا في ذلك المشهد، رغم أن ليالي كانت أهدأ

كان المرض هو العنصر الأكثر أهمية في وجودي أصبح العالم مستشفى شاسعا رأيت أمامي كائنات بشرية مشوهة الجسم والروح توهّج الضوء وأنا أحاول صدّ وجوه رهيبة لكنني كنت أغفو في بعض الأحيان، وقد ينغلق جفناي، وفجأة تضيّق الوجوه الرهيبة الخناق من حولي

وطوال الوقت كنت أنمو كنت أصغر طفل في الفصل في بداية الخريف، لكنني أصبحت الأطول مع نهايته كما لو كانت الرهبة التي عشتها نوعا من أسمدة منشطة لمساعدة النبات على النمو

تحرّك الشتاء نحو نهايته، وطالت الأيام الآن، وبأعجوبة، انسحب الظلام من حياتي حدث ذلك تدريجيا، وكنت بطيئا تماما في استيعاب حقيقة ما جرى ثم اكتشفت ذات ليلة في الربيع أنّ كلّ ما كان عندي من أهوال أصبحت الآن هامشية جلست مع بعض أصدقاء نتفلسف، ونضحك السيجار كان الوقت قد حان للتمشية الى المنزل عبر ليلة ربيع شاحبة، ولم يكن لدى أي شعور على الاطلاق أنّ هناك رعبا ينتظرني في البيت

لكنه لا يزال، فهو شيء شاركت فيه ربما يكون تجربتي الأكثر أهمية لكنه وصل الى نهايته أعتقدت أنه كان جحيما، لكنه كان أيضا مطهرا.

حدث كلّ ذلك في صمت، لكن كانت الأصوات مشغولة خلال الصمت الى ما لا نهاية تشكّلت وجوه على ورق الحائط قد تكسر تكتكة على الجدران حاجز الصمت بين أونة وأخرى كيف تنتج؟ بيد من؟ بواسطتي؟ لقد طقطقت الجدران لأن أفكاري المريضة أرادت ذلك وقد يكون هناك ما هو أسوأ هل أنا مجنون؟ تقريبا

كنت أخشى أن أنزلق الى الجنون، لكن بصفة عامة لم أشعر بأي تهديد من أي نوع من المرض كان بالكاد نوعا من وسوسة مرض لكنه كان بالأحرى قوّة اجمالية لمرض أثارت رعبا مثلما يحدث في فيلم عندما يتغيّر تماما طابع داخل شقة بصورة غير ضارة عندما تسمع موسيقى مشؤومة، وقد خبرت الآن العالم الخارجي بشكل مختلف تماما لأنه تضمن وعيي لتلك الهيمنة التي مورست بسبب المرض كنت أريد قبل بضع سنوات أن أصبح مستكشفا الآن، اتخذت طريقي عبر بلد مجهول لم يسبق لي أن أردته وقد اكتشفت قوة الشر، أو بالأحرى اكتشفتني قوة الشر

قرأت مؤخرا عن بعض المراهقين الذين فقدوا كلّ ما لديهم من فرحة الحياة لأنّهم أصبحوا مسكونين بفكرة أن الايدز يسود العالم لاشك أنهم سيفهمونني

شهدت أمي التقلصات التي عانيتها في ذلك المساء من أواخر الخريف عندما بدأت أزمتي لكن توجّب بعد ذلك أن تظلّ خارج كل شيء كان لابد من استبعاد الجميع، فما كان يحدث هو مجرّد شيء رهيب جدا لا يمكن الحديث عنه كنت محاطا بأشباح أنا نفسي كنت شبحا شبح يمضي الى المدرسة كلّ صباح، ويحضر الدروس دون أن يكشف عن سرّه أصبحت المدرسة متنفسا، لم تكن الرهبة هي نفسها هناك كنت مسكونا بحياتي الخاصة لقد انقلب كلّ شيء رأسا على عقب

في ذلك الوقت كنت متشككا تجاه كلّ أشكال الدين، وبالتأكيد لم تكن هناك صلوات لو ظهرت الأزمة للوجود بعد عدّة سنوات لربما كنت قادرا على أن اختبر كشفها، ذلك الشيء الذي قد يحثني، مثل لقاءات سيدهارتا الأربعة مع شخص عجوز، مع شخص مريض، مع جثة، ومع راهب متسوّل لربما تمكنت من أن أشعر بتعاطف أكثر من ذلك، ورهبة أقل قليلا من المشوّهين والمرضى الذي غزوا وعيي الليلي لكنني عندئذ كنت واقعا في قبضة رهبتي، فلم تكن هناك أي تفسيرات دينية ملوّنة متاحة لي لا صلوات، بل محاولات لطرد الأرواح الشريرة بنوع من الموسيقى بدأت خلال تلك الفترة الطرق على البيانو بشكل جدّي

كنت أنمو كنت أصغر طفل في الفصل في بداية الخريف، لكنني أصبحت الأطول مع نهايته كما لو كانت الرهبة التي عشتها نوعا من أسمدة منشطة لمساعدة النبات على النمو

تحرّك الشتاء نحو نهايته، وطالت الأيام الآن، وبأعجوبة، انسحب الظلام من حياتي حدث ذلك تدريجيا، وكنت بطيئا تماما في استيعاب حقيقة ما جرى ثم اكتشفت ذات ليلة في الربيع أنّ كلّ ما كان عندي من أهوال أصبحت الآن هامشية جلست مع بعض أصدقاء نتفلسف، ونضحك السيجار كان الوقت قد حان للتمشية الى المنزل عبر ليلة ربيع شاحبة، ولم يكن لدى أي شعور على الاطلاق أنّ هناك رعبا ينتظرني في البيت

لكنه لا يزال، فهو شيء شاركت فيه ربما يكون تجربتي الأكثر أهمية لكنه وصل الى نهايته أعتقدت أنه كان جحيما، لكنه كان أيضا مطهرا.

هوامش

«تضمنت الترجمة الانجليزية لديوان "قصائد مجمعة جديدة" ١٩٩٣ مذكرات من النثر الشعري بعنوان ذكريات تنظر اليّ، التي استخرج منها هذا الاستكش السيري.

١فريتز لانج مخرج نمساوي مشهور ولد في فيينا (١٨٩٠–١٩٧٦) يعتبر واحدا من أهم المهاجرين من تعبيرية ألمانيا الى السينما الأمريكية التي أصبح فيها أحد سادة أفلام الرعب والظلام

٢عهد دكتور مابوس يعتبر واحدا من أشهر أفلام فريتز لانج الألمانية الصامتة (١٩٣٣)، ويعدّ واحدا من أشهر أفلام الرعب والجريمة.

٣سيدهارتا" رواية من أشهر أعمال الكاتب الألماني هيرمان هسة (١٩٢٢)، وهي تقدم رحلة دينية لأمير هندي للبحث عن سر الوجود.

عن/ جريدة الرياض السعودية

الآتي مع الصمت.. توماس ترانسترومر يرفع الشعر عالياً بنوبل

أحمد فاضل

جمع كبير من المراهنين توزعوا في مدن عالمية مختلفة اجمعوا على ترشيح بعض من الأسماء المعروضة على هيئة نوبل، أيهم سيفوز بها؟ الذين تجمعوا في بلاد الضباب رفعوا اصواتهم لتوماس ترانسترومر بينما في باريس، إسبانيا كان بوب ديلان الأوفر حظا للترشيح، وسط هذا الترقب وحبس الأنفاس ومن خلف نافذة غرفته الدافئة راح ترانسترومر يحدج باشفاق الى العشرات من الذين تجمعوا أمام بيته وسط برد السويد القارص بانتظار ما ستسفر عنه النتيجة، وبلا مبالاة راحت اصابع يده اليسرى تداعب آلة البيانو وكأن هذا الذي يحدث خارج عالمه الخاص لايعنيه بشيئ بقدر ما تعنيه له هذه الموسيقا التي راحت تجلجل المكان بعذوبة ترنيماتها، وعندما لاحت البشرى انطلقت عدسات التصوير بأنوارها الخاطفة تصوره من خلف النافذة حتى خرج عليهم يحييهم بيده اليسرى بينما راحت اليمنى تنام بلا حراك على صدره مذ تعرضه للسكتة الدماغية عام ١٩٩٠ سالبة منه الكلام ايضا ولم تسلب روح الشعر الذي أنطقه على الورق طوال ستين عاما.

بعد ثمانية عقود هو عمره الآن يبدو ترانسترومر كناية عن حلم امتد الى عقولنا عبر مجاميعه الشعرية وكتاباته المتنوعة حيث خط أولى قصائده وهو بعد في الثالثة عشرة من العمر ونشر أولى مجموعاته الشعرية بعنوان " ١٧ قصيدة " عام ١٩٥٤، وله حاليا ١٢ كتابا شعريا ونثريا منها " اينيغما العظيمة " و " الجنة نصف المنجزة " و " للأحياء والموتى " و " دروب " و " نوافذ وأحجار " و " الرؤية في الظلام " و " شوارع في شنغهاي "، ولأنه درس علم النفس وغاص في اللاوعي الذي افتتن به فقد انعكس هذا الجنوح الغريب ليمدنا الى الكثير من قصائده:

في ساعات الصباح الأولى يتمكن الوعي أن يحتوي العالم / مثلما تمسك اليد بحجارة دافئة من وهج الشمس / وقف المسافر تحت الشجرة فهل / بعد السقوط في دوامة الموت / سينمو ضياء باهر فوق رأسه؟ ×

ترانسترومر لم يمنعه مرضه أن يكون للشعر واحته التي تشفيه مع خوفه المزايد من هذا الخراب والدمار الوحشي والعشوائي الذي يتعرض له الإنسان في إنسانيته، من هنا تشكلت في قصائده صورة عميقة محزنة لهذا الخوف الذي ينتاب الشعراء والأمل يكون بعيد المنال خاصة وحالة الصمت الأبدي الذي يعيشه:

في الفجر يجري حشود من البشر بنشاط فوق كوكبنا الصامت / عندها تغص الحديقة بالبشر، لكل واحد ثمانية وجوه / مصقولة كالاحجار الكريمة، لكل الظروف، اجتنابا للزلل / لكل واحد أيضا وجه غير مرئي، يعكس شيئ لايتحدث عنه الناس / يبرز أحدهم في لحظات متعبة، وهو ذو طعم حاد مثل جرعة / من نبيذ لاذع مع ذلك الطعم الحاد / يتحرك سمك الشبوط في السد منذ الأزل، إنهم يعودون أثناء نومهم / نموذجا للإيمان: دائما في حركة.

الشعراء اصبحوا أكثر سعادة بعد ان فازت قصائدهم بنوبل، ترانسترومر يمثلهم لأنه واحد منهم وهو حينما يتقدم صفوفهم فكأنما يرفع الشعر عاليا بهم، فلا أجمل من شاعر ينطق الورق بسحر شعره وهو لائذ بصمته يجلس قبالة آلته الموسيقية ليترجم بأصابعه اليسرى التي بقيت حية أبياتا أخرى ولدت للتو.

× الأبيات الشعرية مختارات من قصائد توماس ترانسترومر مترجمة عن السويدية للأستاذ عبد الستار نور علي

ترانستـرومر: اشـاهد احـلام النـاس طـوال الـوقـت

حوار ليندا هورفاث-تان لين ..... ترجمة أحمد شافعي

هورفاث أود أن أسألك عما إذا كنت تشعر بأنك تنتمي إلى اتجاه أدبي معين، وأنك ومترجموك تشتركون في الانتماء إليه فأنا أتصور أنني أستشعر قرابة ما بينك وبين بلاي، وسوينسن، وفلتن، وغيرهم ممن ترجموا أعمالك؟

ترانستورومر حسن، بالطبع إنه اتجاه شاسع يمكنك أن تسميه الحداثة في الشعر ولكن لعل هناك ما هو أكثر تحديدا لقد كان أول شاعر يهتم بي اهتماما فعليا هو روبرت بلاي وأعتقد أن سبب ذلك هو أنه كان يعمل في مثل الاتجاه الذي كنت أعمل فيه كان قد زار النرويج وقرأ لشعراء اسكندنافيين وأراد أن يقدم للأمريكيين ما يعرفهم بالشعر الاسكندنافي الكتابة في صمت الحقول المكسوة بالجليد وهو أحد كتب روبرت بلاي مألوفة لي كثيرا قصائده أمريكية تماما ولكن فيها شيئا استطعت أن أتماهى فيه تماما حينما قرأته لأول مرة والحقيقة أن تجربة ترجمة أعمالك على يد من يكتب في نفس الاتجاه الذي تكتبين فيه أنت هي تجربة مشجعة للغاية، تجربة لا يصادفها كل الكتاب مع مترجميهم

أنا محظوظ أن ترجمت على أيدي شعراء تصادف أنهم يعرفون شيئا من السويدية، وهذا أمر غير شائع مع اللغات الثانوية، إذ الشائع أن تقع بين يدي متخصص في اللغة قد لا يكون لديه اهتمام بالشعر أو إحساس به

نيفيل قلت ليلة أمس أنك تُرجمت إلى درجة أن طبيعة لغتك السويدية نفسها تغيرت، إلى درجة أن سويديتك لم تعد السويدية التي بدأت بها أهذا صحيح؟

ترانستورومر السيدة التي كان تقدمني نسبت هذا لي

نيفيل وهل توافقها؟

ترانستورومر يصعب علي أن أعرف، فالأمر يجري على مستوى بعيد بدرجة ما عن الوعي وأعتقد أن في أذهان أشد الكتاب انعزالا إحساسا ما بالجمهور هو جمهور خفي قد لا يكون الكاتب واعيا به ولكنه موجود في موضع ما من الذهن، وأنا طالما اعتقدت أن هذا الجمهور يتألف من أصدقاء الكاتب المقربين، وممن يحسنون فهمه ولكنني أعود فأظن أنك لو مررت بتلك التجربة الرائعة، تجربة مقابلة ثقافة أخرى، تجربة الوجود في لغات أخرى، فإن أبناء هذه الثقافات واللغات يصبحون أيضا جزءا من جمهورك بطريقة تترك أثرا عليك ومن المؤسف أن كثيرا من شعرائنا السويديين غير قابلين للترجمة لأن كتابتهم لصيقة كثيرا ببنية اللغة السويدية وهذا يوشك أن يجعل كتابتهم مستحيلة الترجمة في حين تسهل ترجمة بعض الشعراء والحال واحد في جميع اللغات

نيفيل أريد أن أعود لدقيقة إلى سؤال الجمهور ما رأيك في جمهور الشعر في بلدنا؟ أنا شخصيا أراه مغلقا على نفسه، موصدا دون الهواء والشمس، غير واع إلا بذاته الشعراء هنا عادة يكتبون لشعراء أو لطلبة يدرسون الشعر أتساءل هل الحال هكذا في السويد؟

ترانستورومر الفارق أن تنظيم الأمسيات الشعرية في أمريكا مهمة موكولة إلى الجامعات، أما في السويد فهي مهمة المكتبات المكتبات هي التي ترتب الأمسيات الشعرية فإذا ذهبت إلى مكان مناظر لإنيداناباوليس، فأنت على الأرجح ستذهب لتلقى شعرك في مكتبة تقابل فيها ناسا من جميع الأعمار والخلفيات

نيفيل الجمهور إذن يكون أكثر تنوعا وأعرض مساحة؟

ترانستورومر نعم أما هنا فلديكم طبقة من الشباب يناصرون بعضهم البعض كلهم يكتبون، ولعلهم، أيضا، ينذهبون جماعة إلى الأمسيات أما في مكان مثل أوبسالا فتجدين الجمهور ناسا آتين من أماكن مختلفة تماما، يكونون أحيانا أناسا معزولين يحبون الشعر، وهذا لا ينطبق على الجميع بطبيعة الحال

نيفيل ولكنهم ليسوا جميعا مدرسين للشعر ودارسين له؟

ترانستورومر بعضهم كذلك طبعا لدينا أمسيات شعرية تقام في الجامعات ولكن تنظيمها لا يكون جزءا من البرنامج الدراسي، بل لأن للطلبة نواديهم الأدبية وما الفارق أيضا؟ يمكنني القول إن الجمهور السويدي أميل إلى عدم التعبير عن مشاعره يجلسون في هدوء، ولا تظهر على وجوههم أية تعبيرات، لا يتنهدون، لا يضحكون، لا يصيحون يظنون أن من الأدب ألا يظهروا مشاعرهم وذلك في بعض الأحيان يدعو إلى الإحباط فلا يعرف المرء إن كان الجمهور ضجر منه أم لا يزال متلهفا على شعره أما في أمريكا فرد الفعل يأتي أكثر وضوحا ولكن حتى الولايات المتحدة تختلف من منطقة إلى أخرى لعل الأقل تعبيرا عن المشاعر هم جمهور الغرب المتوسط

هورفاث أظن أن كتابك الأول صدر وأنت في الثانية والعشرين كنت أتساءل عما لو لو كنت تشعر أنك مررت بمراحل مختلفة منذ ذلك الحين؟

ترانستورومر أتمنى ذلك ضحك ولكن من الصعب أن أحكم في ذلك غالبا ما يقول النقاد كلما أصدرت كتابا جديدا أنه كسابقيه، أو أنني أتغير ببطء شديد يجدون ثوابت ينظرون إلى كتابي الأول فيجدون فيه أشياء لم تزل تظهر إلى الآن أما أنا فالفارق بالنسبة لي هائل

هورفاث سبب سؤالي أنني فيما أقرأ أعمالك الكاملة أجد أنك كنت تزداد تعقيدا بمرور الزمن

ترانستورومر قد يكون هذا صحيحا لكن على مستوى اللغة كنت أكثر تعقيدا عندما بدأت هذا لا يظهر في الترجمة، ولكن يظهر إحساسك بألم العالم في قصيدتك استكش أن القصائد الأولى كانت أكثر كثافة، وقد كنت أستخدم في كتابتها من التفعيلات التقليدية أكثرمما أستخدمه الآن أعتقد أن تلك القصائد الأولى أعصى على الترجمة ما تحصلون عليه في الترجمات الإنجليزية إن هو إلا نسخة مبسطة أما القصائد التالية فأسهل على الترجمة، ولو في مستواها اللغوي على أقل تقدير وهناك فارق، وإن كنت لا أحب أن أتكلم عن الشكل والمضمون، ولكن فلنفعل ذلك يضحك الشكل بالنسبة لي في القصائد المتأخرة أشد تعقيدا، لأن هذه القصائد أحوى للمزيد من التجارب أنا الآن في السابعة والخمسين والفارق هائل بين من هو في الثانية والعشرين ومن بلغ السابعة والخمسين الحياة كلها، والمجتمع، وكل هذه الأشياء، موجودة، بطريقة أو بأخرى، في القصائد المتأخرة في الكتاب الأول كنت صغيرا جدا وعلى علاقة قوية بالطبيعة وبالطفولة ولكن العالم كان خارجيا محدودا أما الآن، فلدى كل هذه الأشياء التي مررت بها

هورفاث من الأشياء التي تشدني كثيرا إلى شعرك ذلك الوعي الكوني ولكني أستشعر أن القصائد الأولى كانت أكثر كثافة، وقد كنت أستخدم في كتابتها من التفعيلات التقليدية أكثرمما أستخدمه الآن أعتقد أن تلك القصائد الأولى أعصى على الترجمة ما تحصلون عليه في الترجمات الإنجليزية إن هو إلا نسخة مبسطة أما القصائد التالية فأسهل على الترجمة، ولو في مستواها اللغوي على أقل تقدير وهناك فارق، وإن كنت لا أحب أن أتكلم عن الشكل والمضمون، ولكن فلنفعل ذلك يضحك الشكل بالنسبة لي في القصائد المتأخرة أشد تعقيدا، لأن هذه القصائد أحوى للمزيد من التجارب أنا الآن في السابعة والخمسين والفارق هائل بين من هو في الثانية والعشرين ومن بلغ السابعة والخمسين الحياة كلها، والمجتمع، وكل هذه الأشياء، موجودة، بطريقة أو بأخرى، في القصائد المتأخرة في الكتاب الأول كنت صغيرا جدا وعلى علاقة قوية بالطبيعة وبالطفولة ولكن العالم كان خارجيا محدودا أما الآن، فلدى كل هذه الأشياء التي مررت بها

هورفاث من الأشياء التي تشدني كثيرا إلى شعرك ذلك الوعي الكوني ولكني أستشعر في قصيدتك استكش في أكتوبر يُهتُ بصورة الفطر الذي ك الأصابع، تمتد طالبة النجدة، من شخص يبكي حاله منذ وقت طويل، في تلك العتمة استشعرتها تنبيها إلى الحاجة الماسة إلى السلام ومع ذلك فالقصائد ليست سياسية هل لديك تعليق؟

ترانستورومر أنت قلت أشياء لطيفة وأنا لا أريد أن أكون سخيفا يضحك نعم، أنا نشأت في فترة الحرب العالمية الثانية التي كانت بالنسبة لي تجربة هائلة برغم أن السويد كانت على الحياد، إلا أنها كانت محاطة بالاحتلال الألماني . النرويج كانت محتلة، الدنمارك كانت محتلة كانت السويد مستقلة ولكنها كانت معزولة أيضا وكان الناس في السويد منقسمين، فبعض يؤيد الحلفاء، وبعض الألمان كان ثمة توترات بالغة شعرت بها في طفولتي كان أبواي مطلقين وكنت أعيش مع أمي كان لي أقارب مقربون للغاية مني كانوا جميعا مناهضين تماما لهتلر، وكنت أنا الأكثر مناصرة للحلفاء كنت ولدا صغيرا، ولكنني لم أكن مثل طفل صغير، بل مثل بروفيسير صغير كنت أخطب في الناس طوال الوقت وكنت أقرأ الجرائد وأتابع الحرب بشغف

كنت أحلم أن أكون مستكشفا كان أبطالنا في ذلك الوقت هم ليفنجستن وستانلي ومن على تلك الشاكلة كنت أذهب طوال الوقت في خيالي إلى أفريقيا وأماكن أخرى من العالم ولكنني في الواقع كنت مقيما في استوكهولم وكنا في الصيف نسافر إلى أرتشيبيلاجو، إلى الجزر التي كانت بالنسبة لي جنتي على الأرض وبعدما انتهت الحرب أردت طبعا أن أسافر وأن أرى العالم أمي لم تكن سافرت في حياتها خارج السويد، ولكنني كنت أريد ذلك في عام زرت أيسلندة، برفقة زميل لي من المدرسة وكانت تجربة مؤثرة عندما رجعنا، لا أستطيع أن أقول إنني كنت فقيرا، ولكن لم يكن لدى مال في عام صدر كتابي الأول وحصلت على جائزة وبالقيمة المالية للجائزة سافرة إلى الشرق تركيا والشرق الأدنى، ولم تكن في تلك الأثناء بلادا سياحية على الإطلاق، تركيا بالذات لم تكن كذلك كانت مغامرة حقيقية بالنسبة لي الشباب الآن يذهبون إلى تلك الأماكن بحقائب على ظهورهم مثلما فعلت، ولكن الأمر عادي الآن

مقابلة ذلك العالم كانت تجربة مؤثرة للغاية، وهناك قصائد من تلك الفترة في كتابي الثاني هناك قصيدة عنوانها قيلولة وأخرى عنوانها إزمير في الثالثة صباحا سنة زرت تركيا واليونان، سنة زرت إيطاليا ويوغسلافيا، سنة زرت المغرب وأسبانيا والبرتغال ومنذ ذلك الحين وأنا أسافر ولكنني الآن أذهب إلى المكان الذي تأتيني منه دعوة، أذهب إلى حيث أفعل شيئا ما ولي اهتمام شديد بالسياسة ولكن من ناحيتها الإنسانية لا الأيديولوجية

نيفيل لا أجد في قصائدك ما يحملني على الظن بأنك ترى نفسك رحالة بل أنت ضارب بجذورك في السويد، ومناخها وما إلى ذلك هل توافقني على هذا؟

ترانستورومر أعتقد أنني ضارب بجذوري في الأفق، والمشاهد، والتجارب أنت ذكرت المناخ ذلك مهم جدا بالنسبة لنا نحن الذين نكتب الشعر، ولنا جميعا في السويد الإضاءة بالغة الغرابة نحن في أقصى الشمال، ولكن الجو بسبب تيار الخليج أميل إلى الاعتدال، أما النور فقطبي، والسويد هي المكان الوحيد في العالم الذي يشهد ذلك لدينا الصيف المنير تماما، والشتاء شديد العتمة

نيفيل نعم، هو طويل ومعتم عندك قصائد صيفية رائعة الإحساس بالارتياح لمقدم الصيف شديد القوة وقد ذكرت فيما سبق أن الشيء الأهم في سنوات عمرك المبكرة كان علاقتك القوية بالطبيعة في السويد أدهشني في قصائدك أنها برغم قيامها بقوة على الحياة الداخلية، أو على الذات، تحتوي على قيم خارجية واضحة، وليس ثمة إلا نماذج قليلة لما هو داخلي قصيدة فرمير واحدة من القصائد القليلة التي ألاحظ أنك فيها موجود بالداخل، داخل استوديو يقع داخل حانة ولكنني أظن أنه في مرئية، حتى وأنت تدخل غرفة، يتحول انتباهك فورا إلى خارج الغرفة، إلى الشباك، أو إلى الشارع والمرور هل يمكن أن تكلمنا عن هذا؟ إذ يدهشني ويبدو لي من غير المعتاد أن يكون اهتمامك داخليا في حين أن إدراكك دائما متجه صوب الخارج

ترانستورومر ربما هذه طريقة الإلهام في العمل معي . الشعور بأنني في مكانين في الوقت نفسه، أو الشعور بأنني في مكان ظاهره شديد الانغلاق، بينما كل ما فيه مفتوح حسن، الأمر غامض، ولكن له علاقة بجملة الإلهام الذي يصنع القصيدة عندي

نيفيل عندي فضول أن أعرف ما الذي في خلفيتك أتاح لك الهروب من شراك الانسحاب والذاتية والاغتراب؟

ترانستورومر بعد صمت طويل كانت لي أم رائعة يضحك

نيفيل كنت أتمنى أن يكون هذا ما تقوله

ترانستورومر نعم، كنا قريبين جدا من أحدنا الآخر كانت معلمة في مدرسة ابتدائية وكان لي جدان أكثر من رائعين، قبطان وزوجته عجوزان جدا، وقريبان مني جدا نعم، كنت أجد دعما أكيدا من أولئك الأقارب في الوقت نفسه كنت منعزلا للغاية كنت طفلا وحيدا، وكانوا يشجعونني طوال الوقت على تنمية اهتماماتي أعتقد أن الأطفال ذوي الاهتمامات والهوايات غالبا ما يلقون دفعا مضادا من آبائهم رغبة منهم في أن يكونوا أطفالا طبيعيين مثل غيرهم من الأطفال

في طفولتي كنت غالبا ما أتأذى من الكبار الأجلاف الذين لا يعاملونني بوصفي كبيرا، وكذلك كنت بالنسبة لنفسي كانوا يعاملونني معاملة طفل وكنت أجد ذلك مهينا أما الذين كانوا قريبين مني، الأكثر أهمية لدي، فقد كانوا شديدي التسامح مع شخصيتي المدرسة كانت بالطبع مختلفة هناك مدرسون كنت أحبهم، وآخرون لا أحبهم بالمرة أعتقد بصورة عامة أن طفولتي لم تكن سلسة ولكنها لم تكن في غاية السوء حينما كنت في الحادية عشرة أو الثانية عشرة نما لدى اهتمام شديد بجمع الحشرات كان علم الأحياء ولا يزال شديد الأهمية لدي كنت أجمع الخنافس بالذات، كانت لدى مجموعة ضخمة، كنت طول الوقت بالخارج ومعي شبكة الفراشات

نيفيل في قصائدك كثير من الفراشات ولكنني لا أظن أن هناك كثيرا من الخنافس أو غيرها من الحشرات

هورفاث الدبور الذهبي؟

ترانستورومر أظن عندي خنفساء، لا بد أن يكون عندي خنفساء على عمود الكهرباء الطنان خنفساء جالسة في الشمس تحت الجناحين الظاهرين جناحاها مطويان ببراعة كأنهما مظلة احتياطية على ظهر خبير هذه قصيدة عنوانها ساحة الغابة هناك خنفساء إذن

لعلكما تعرفان أن المرء حينما يخرج ليجمع الحشرات وينظر إلى كل شيء في الطبيعة يرى أن الوجود مليء بالسعادة وذلك أيضا جزء من التراث السويدي من ايام عالم النباتات والحيوانات السويدي كارل لينايوس الطبيعة ليست مجرد مكان للحالات المزاجية، هي مكان يقوم فيه المرء بأبحاث جمال الطبيعة، الأصداف، الحشرات، الطيور، ذلك الجمال أدركته طفلا ولكنني لم أدركه بوصفه جمالا، فقد كنت أرى نفسي عالما يضحك ولكنه على أية حال اعترض طريقي

هورفاث هل كانت لديك أية اهتمامات أخرى؟

ترانستورومر نعم، كان لي اهتمام كبير بالتاريخ قرأت فيه كثيرا ولا أزال أفعل وحين بلغت الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة باتت الموسيقى مهمة جدا نما لدى اهتمام خرافي بالموسيقى، ولم يزل لدي

نيفيل وتعزف؟

ترانستورومر نعم، وكنت أنظر عسى أن يكون لديك بيانو

هورفاث أتساءل كيف تقع على الصور المدهشة التي في قصائدك؟

ترانستورومر الصور في ذاتها غالبا ما تأتي عفوا أما حينما أعمل على صورة، فإنني أحاول قدر استطاعتي أن أجعلها أوضح ما تكون للقارئ كما يحدث لك وأنت تحلمين، أشياء كالتي تصادفك في الحلم، تأتي طول الوقت

هورفاث هل تعمل على أن تبقى على اتصال بأحلامك؟

ترانستورومر نعم، أحيانا أنا أحلم كثيرا، ولكنني للأسف أنسى بسرعة

هورفاث أنت إذن لا توقظ نفسك في الليل لتدون حلما؟

ترانستورومر لا، ليس من طبيعة شخصيتي أن أفعل شيئا كهذا . أنا لا أضحي بالنوم يضحك لكن حدث لي أن كانت الأحلام أحيانا قوية إلى حد أني كنت أكملها، فتتحول إلى قصائد

هورفاث حين تخطر لك صور تتعلق بطائفة معينة من المشاعر هل تعمل عليها حتى تجعلها واضحة للقارئ؟

ترانستورومر أحيانا أحيانا تأتي صورة في قصيدة عن مركز معين، وتأتي بالكلمات التي تنتمي إليه بالفعل لكن في أحيان أخرى تأتي الصورة صورة بلا كلمات، ويكون على أنا أن أعمل على الكلمات

هورفاث إذن طريقتك في العمل هي خروج للاوعي، أكثر منها مسألة عمدية كأن تقول لنفسك سأجلس الآن لأكتب قصيدة عن كذا

ترانستورومر نعم، كل شيء يأتي من الداخل، من اللاوعي ذلك هو مصدر كل شيء وعندي من المعدّات الكثير التي تعينني على الاعتناء بما يؤتى إلى من الأعماق، ولكنني لا أفرض على نفسي مطلقا أن أكتب عن أي شيء حاولت أن أفعل هذا حينما كنت أعمل في السجن كإخصائي نفسي للمساجين الشبان، أردت أن أكتب عن تلك التجربة، وكتبت قصيدة طموحا للغاية، ولكنني لم أرض عنها، عن القصيدة الناشئة من الطموح وفي النهاية، لم يكن الشيء الوحيد الذي قبلت به إلا أبياتا قليلة أتت في سياق القصيدة الطموح الزائفة عن الأولاد البؤساء في السجن القصيدة عنوانها عن ضواحي العمل

وفي غمار العمل

إذا بنا نتوق بجنون إلى الخضرة

إلى البرية نفسها

تلك التي لا يخترقها من الحضارة النحيلة إلا

أسلاك التليفون

لم تبق غير أبيات كهذه من قصيدة طويلة طموح جادة عن السجن وإذن فليس بوسعي فعلا أن أقرر الكتابة، بل لا بد للكتابة أن تجيء

هورفاث هل تحتاج أن تضع نفسك في جو معين، في إطار ذهني ما، فتمكن القصائد من

◀

المجيء؟

ترانستورمر لا يكون الأمر سهلا على مطلقا، ولكن أفعله كلما استطعت هى حالة مزاجية معينة، حالة لعب، ولكنها جادة كل الجدية على المرء أن يوازن ما بين اللعب والطموح . وتحقيق هذا التوازن أمر بالغ الصعوبة ومن المفيد جدا أن تتاح للمرء وفرة من الوقت، وهو مال يس متاحا لي أعنى فى رحلة كهذه الرحلة يعنى طبعا لو كان من طبعى لكنت جلست فى غرفة الفندق وقلت لنفسي، لن أفعل شيئا طول النهار، سأجلس هنا وحسب ولكنى لا أقدر على هذا فالناس يتصلون وأجدنى مدعوا إلى حفلات، وهكذا وفى الطائرة أكون إما ضجرا وإما مرعوبا، وفى كلتا الحالتين لا أجدنى راغبا فى الكتابة القطارات أحسن بكثير، قطارات المسافات الطويلة

نيفيل والسيارات عندك قصائد عديدة فى منتهى الروعة عن السيارات، سيول فى الداخل و مسارات وغيرهما

ترانستورمر نعم ولكن شعورى تجاه السيارات متناقض، فمن ناحية أكره فيها تدميرها لكثير من الأشياء، ومن ناحية أخرى لا يمكننى إلا أن أقول إنه من الرائع أن تكون لدى المرء سيارة، فيحمل بها نفسه إلى الطبيعة

نيفيل أريد أن أسألك عن قصيدة النثر أنا أومن بها وأكتبها ولكن الكثيرون يرون فيها ترهلا ولا يحبون أن ينشغلوا بها أود أن أعرف رأيك ما الذى تعطيك إياه قصيدة النثر ولا تحصل عليه من كتابة القصائد؟

ترانستورمر حسن، إن لها تراثا عريقا فى أوربا، وفى فرنسا بخاصة، وحينما بدأت أكتبها فى أواخر أربعينيات القرن العشرين كان من أهم كتبها أنطولوجيا عنوانها تسعة عشر شاعرا فرنسيا حديثا كانت هناك قصائد نثر كثيرة لـ رينيه شار، وإليـاد، وريفردي، ومن على شاكلتهم، ومن ثم فكانت بالنسبة لى شيئا طبيعيا، لم تكن بالشيء الجديد وكان لى صديق فى المدرسة، ذو موهبة هائلة، أصدر كتابا وهو فى الثالثين، وكان كتاب قصائد نثرية، شبيهة للغاية بأعمال ماكس جاكوب، أشبه بشعر نثر سريالى جامح وإذن فقد كانت قصيدة النثر مألوفة لى طوال الوقت، منذ البداية، ولكن غير لاهوتى أتساءل إن كنت تلقيت فى طفولتك تعليما دينيا ما؟

ترانستورمر نعم، أمى مرة أخرى كانت امرأة فى غاية الـ..إن جاز لى القول. فى غاية التقوى، المشكلة أن للكلمة إيحاءات لا أعنيها، توحى بامرأة متشددة رجعية وهى لم تكن كذلك، كانت لها علاقة طفولية جميلة مع الله كانت متدينة بطريقة فى منتهى الإيجابية كنت فى طفولتى بطبيعة الحال نزاعا تماما إلى الشك كنت أومن بالعلوم الطبيعية، على غرار القرن التاسع عشر، حيث كل شيء أعد على يقين كان كل من فى جيلى تقريبا أصحاب يقين، ولكننى رفضت ذلك لم أومن بذلك، وأمى قبلت هذا التردد ولم تمض غير سنوات قليلة حتى بت متورطا إلى حد كبيرا فى الدين فى البداية، حينما كان الوقت هو وقت اليقين، كنت ملحدا، وبعد سنوات قليلة، صرت مؤمنا

ولكن هذا شيء يحدث فى حياة المرء ليست لى إلا علاقة محدودة بالكنيسة أحب المبانى طبعا، والإحساس الذى تمنحه وكثيرا ما أدخلها، ولكننى لست عضوا فى كنيسة بالمعنى الاجتماعى للكلمة، لو جاز لى القول ولو كنت منتميا إلى جماعة دينية، فأقرب الجماعات الدينية إلى قلبى هى الكويكرز ولكنها جماعة منغلقة جدا فى السويد، على المرء أن يكون قديسا كى يدخلها وأنا أحاول أن أحل هذا الأمر أعنى أننى أريد قبل أن أموت أن أصل إلى حلول محددة

نيفيل الدبور الذهبي بيان قوى مناهض للدين المأسس طيب ما الذى تفعله؟ هل تقرأ كثيرا وحدك؟ الإنجيل مثلا؟

ترانستورمر أنا فى واقع الأمر ضمن جماعة من الناس تعمل على إنتاج ترجمات جديدة للإنجيل وظيفتى أن أعمل على الأصوات لكن لو لم يكن الدين مهما لدى لما بلغ منى الضيق بالأصوليين هذا المبلغ ذلك أننى أشعر بهم انحرافا لكل ما أحب أنا شاهدت فى التليفزيون معبد الناس ص لجيم جونز وكنت أفكر فى ذلك عندما كتبت الفراشى السماوية ضد رجل تشعل لهبا ثم إنها بعد ذلك تنسحب لماذا؟ الدبور الذهبي، أيرنوود، الجزء لأن تلك الجماعة بدأت بداية طيبة للغاية فى تصوري، وكانت جماعة إيجابية فى نيويورك ولكنها لاحقا تدهورت إلى منظمة إراهبية من نوع ما، فبات كل من فيها طوع بنان زعيمها وما إلى ذلك كما أننى سمعت أورال روبرتس كان يظهر كثيرا على التليفزيون عندما كنت فى أمريكا سنة وقد بدأ يظهر لدينا هذا النوع من الوعاظ فى السويد

هورفاث فيهم شيء مرعب، سطوتهم على الناس

ترانستورمر والأموال الضخمة أيضا

هورفاث هل حل علم النفس محل الدين لديك؟

ترانستورمر لا، لا أعتقد بهذا حسن، هذا السؤال معقد جدا علم النفس يقترب أحيانا من الدين، ولكن هذا يتوقف على العالم نفسه، على نظرته إلى الأشياء علماء النفس فى القرن العشرين أميل فى الغالب إلى الشك فى الدين وأميل إلى استبعاده لكن بعضهم ليس كذلك أعنى أن النهج اليانجى نسبة إلى كارل ينج فى التعامل مع علم النفس أكثر انفتاحا على الدين

هورفاث وأنت جزء من هذه المدرسة؟

ترانستورمر لا، أنا لا أنتمى إلى أى مدرسة، أنا انتقائى جدا ولكن هناك تأثيرات بالتأكيد والأفكار اليانجية تسرى فى الهواء

هورفاث عندى فضول حول مكان الأنا فى قصائدك أعنى أننى ينبغى أن أقرأ كما غير بسيط إلى أن أصادف أنا

ترانستورمر حسن، هذا صحيح فيما يتعلق بكتابى الأول كنت أخشى فعلا استخدام أنا ولكن توتر الـ أنا يبدأ فى التزايد قليلا فى كتابى الثاني، ويستمر فى التزايد، وهو من الفوارق بين القصائد الأولى والمتأخرة، فالمتأخرة حافلة بالـ انا ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن القصائد الأولى أقل تعلقا بي، الأمر أننى كنت أخجل من الكلام عن نفسي وكنت غالبا أستخدم هو فى الفترة الوسطى يضحك عندما كان يسير فى الشارع عقب لقائه الغرامي، والهواء يدور بالجليد مقام سى ميجور وهو كان أنا بالقطع ولكننى الآن لا أتردد فى قول انا ولكن فى تلك الفترة كان ذلك طموحا عندي، طموحا إلى أن لا أكون مرئيا كشخص ولكننى الآن أرى أن الأمانة تقتضى استخدام أنا ففى النهاية، يكتب المرء تجاربه، ويكتب ليعرض تجاربه وفيما ينتهى الحوار، يدخل كل من فران كوين الذى يدير سلسلة الأمسيات فى جامعة بتلر، وجيم باول مدير مركز إنديانابوليس للكتاب.

كوين هناك شيء أخير أريد أن أطرحه هنا تكلمت بالأمس عن جماعة لك فى أوبسالا معنية بالكتابة الإبداعية، فكرة تأسيسك لها تثير أسئلة عما إذا كان هذا هو الاتجاه الصحيح الذى ينبغى أن تسير فيه؟

ترانستورمر ينتابنى شعور غامض تجاه تدريس الكتابة الإبداعية فليس من الممكن فى ظنى أن يتخذ أحد مدرسا يعلمه كتابة القصائد فى هذه الفكرة شيء غريب ولكن ما يستطيعه المدرس هو أن يخلق مناخا يتسنى فيه للطلبة . بوصفهم أصحابا وفى الوقت نفسه نقادا شديدى الحدة . أن يقيموا علاقة مواتية تماما لتطوير الكتابة هكذا كان الأمر بالنسبة لى عندما بدأت الكتابة كان لى أصدقاء يكتبون مثلى وكان لنا فى بعضنا البعض عون كبير، وذلك فى ظنى لأن المرء يكون بحاجة إلى جمهور ما ينظر إلى كتابته نظرة محبة على أن تكون فى الوقت نفسه نظرة قارئ لا نظرة صاحب وحسب عندما تبدأ الكتابة تكون غارقا فى إلهامك، ويصعب عليك أن تفهم أن القارئ ليس لديه مثل هذا الإلهام حينئذ يكون من المفيد كثيرا لك أن تقابل قراء بصورة مباشرة فينقلون إليك آراءهم مشكلة الكتابة هى أن تخرج ما بالداخل إلى الخارج لكن مشكلتها أيضا أن كل ما يخرج إلى نص لا بد أن يكون قابلا لفهم القارئ الذى يأتى إليه من موقف مغاير تماما، بعينين باردتين، وبدون أى إلهام من أى نوع وهذا يكون بمثابة صدمة بسيطة للشاعر الشاب في أول الأمر، إذ هو يتصور أن الجميع بداهة ملهمون مثله أشياء من هذا النوع يمكن للمرء أن يتعلمها من ناس تجتمع فيهم المحبة والموضوعية ولكنك لا تتعلم هذا من معلم، فالمعلم سلطة، شخص عليك الخضوع له إنما يتعلم المرء من أنداده ودور المعلم هو أن يخلق المناخ الذى يسمح بتحقق ذلك وأن يكون ملهما للسيرك كله يضحك

كوين ألم تزل على اتصال بأصدقاء ممن عملت معهم وأنت شاب؟

ترانستورمر نعم، لكن شوف، هذا من المساوئ التى تأتى مع العمر بعض هؤلاء توقف تماما عن الكتابة البعض أصبح كتابا هامشيين وأنا أصبحت مشهورا وهذا يلحق بالعلاقة ضررا كبيرا لا يظهر هذا الضرر عندما نلتقى كبش، ولكن بمجرد أن يبدأ الكلام عن الكتابة تستحيل تقريبا استعادة تلك الحالة الرائعة التى كنا عليها عندما كنا جميعا متساوين، ومتفائلين، وكرماء بعد خمسة وثلاثين سنة تتأسس هيراركية، وهذا ليس بالشيء الصحيح

هورفاث هل ترى من الصعب عليهم أن يقرأوا شعرك ويتكلموا عنه، وأن يتقبلوا كلامك عن أعمالهم، وقد بت سلطة

ترانستورمر لا، بل أنأى عن الحكاية برمتها زوجتى هى أفضل نقادي تعرفنى تماما، وتستطيع أن تضع يدها على كل ما هو زائف وأيضا، يمكن اكتشاف الكثير عن القصيدة عند ترجمتها، وأثناء عملية الترجمة ولكننى أحيانا أكتشف مواضع الأخطاء، بعد فوات الأوان يضحك

كوين هل تغير فى قصائد نشرتها؟

ترانستورمر لا، ليس بعد صدورها فى كتاب بالسويدية ولكن هناك فى المجلات قصائد لا تجدها بشكلها فى كتب

كوين كنت أفكر فى وليم بتلر ييتس وهو على فراش الموت ينقح أعماله الكاملة

ترانستورمر آوه، كلا، أكره أن افعل هذا القصائد القديمة علامات على الطريق قطعه المرء بل إننى لا أكاد أجد فى نفسى رغبة إلى إلقاء قصائد بعُد العهد بينى وبينها أكثر مما ينبغي

كوين روبرت بلاى أعاد فى مختاراته كتابة جملة من القصائد، فكنت أتساءل إن كانت تخطر لك أفكار من هذا النوع

ترانستورمر آوه، كلا، أعتقد أن هذه فكرة شنيعة يضحك

باول وماذا عن الحرق؟ بورخس قضى سنين يحرق كتاباته الأولى

ترانستورمر الحرق معقول يضحك أما البدء مرة أخرى فى كتابة قصيدة سبق أن كتبتها منذ خمسة وعشرين عاما . فهذه فكرة مجنونة.

أجرى هذا الحوار فى ابريل فى شقة ليندا هورفاث، فى اليوم التالى لأمسية شعرية لترانستورمر فى جامعة بتلر وقد أجرته إلى جانب هورفاث، الشاعرة الأمريكية تان لين وقد نشر الحوار للمرة الأولى فى فصلية بريتنت بريدج كورترلي التى تصدر فى فيلادلفيا،

عن مجلة نزوى ٢٠١٢

الحفلُ القناعَ ويكشف عن نفسه محطة توزيع لسيارات النقل فى الضباب والبرد عمالقة واقفون على الطرق ثمة رسومات بالطباشير على أبواب السيارات ومع أن المرء لا يستطيع أن يجهر بالأمر، لكن ها هنا الكثير من العنف المكبوت

إلى آخره، إلى آخره هذا أشبه بوصف متشائم للسويد، وهذا تأويل ضمن تأويلات أخرى ممكنة

نيفيل أهذه هى القصيدة التى تنتهى بالأطفال الواقفين فى انتظار أتوبيس المدرسة؟ أنا أحب هذه القصيدة جدا

ترانستورمر وهذه أكثر قصيدة أحبها الشاعر الصيني باى داو

نيفيل طبيعي، فالصين تشبه كثيرا الأفق الذى تصوره هذه القصيدة كئيبة، نائية، نفعية الوقوف من قصائدى المفضلة، قصيدة نثر خفيفة فرحة

ترانستورمر تلك قصيدة قديمة وهى بدرجة كبيرة قصيدة تسجيلية، فحينما كان أبناؤنا صغارا كانت لدينا فى الصيف دجاجات وبصوت لا يكاد يكون مسموعا أحيانا أظن أنى يجب أن أرجع إلى ذلك

نيفيل هل كان ذلك أيضا فى بيت عائلتك القديم فى البلطيق؟

ترانستورمر نعم، وهناك قبعة من ذلك الجزء المبكر من القرن، هى أيضا حقيقية يقرأ من القصيدة

توقفت، ممسكا الدجاجة بين يدي غريبة، لم تبد حية صلبة، جافة، بيضاء، إنها قبعة نسائية من فوقها ريشة، إنها قبعة اختزلت كل حقائق سنة

وتلك كانت قبعة حقيقية، وكانت عندنا فى البيت يضحك

نيفيل هل يشعر أبناؤك بمثل ما تشعر به أنت حيال البيت الأزرق؟ أم انتماؤهم لجيل آخر يجعل شعورهم مختلفا؟

ترانستورمر هو أخذ فى التماثل مع تقدمهم فى العمر يزدادون تقديرا له كبراهم الآن فى الثامنة والعشرين، والصغرى فى الرابعة والعشرين وهما مغرمتان بالجزر لذلك أنا متطمئن تماما إلى أنهما لن تبيعاه

هورفاث هناك شيء لم نمسسه حتى الآن، وهو التأثير الدينى على قصائدك أنا استشعرت دافعا روحانيا فيها، ولكنه دافع قصائدى النثرية المنشورة جاءت متأخرة كانت أمى قد ماتت وكتبت عن حضورى إلى شقتها ووقوفى أمام المكتبة المكتبة

نيفيل ما الفارق فى المزاج التعبيرى بين الشعر والنثر؟

ترانستورمر غالبا ما أعرف منذ البداية إن كان ما سأكتبه نثرا أم شعرا فى آخر كتبى الصادر قبل أسبوعين اثنين، هناك سبع عشرة قصيدة منها اثنتان نثريتان إحداهما هنا فى كتاب مختارات هذا، وعنوانها العندليب فى باديلوندا، والأخرى ألقيتها أمس وعنوانها غزلية كلتاهما قصيرتان للغاية ولكن قصيدة النثر تعطيك نوعا من الطلاقة

وهذا تواز آخر بينى وبين روبرت بلاي فقد أصدر كتاب قصائده النثرية فى الوقت الذى بدأت أكتبها فيه وكنا نحن الاثنين مهتمين بفرانسيس بونج قصائده النثرية تتسم بنوع من الرؤية المتوترة قصيرة النظر للأشياء وللطبيعة وهى قصائد موحية للغاية، برغم أن المرء ليس مرغما على اتباع بونج وأسلوبه أعتقد أننى أنا وأنت نشعر حيال قصيدة النثر بشيء مشترك، فيها نوع من الحرية، حرية الالتفات إلى التفاصيل، حرية الاستطراد

هورفاث أنت إذن لا تنفح قصائدك النثرية؟

ترانستورمر أحيانا أفعل هناك قصيدة نثر معينة أظنني ظللت سنوات أعمل عليها ولكنها نثرية، عنوانها تحت التجمد يلقيها نحن فى حفل لا يحبنا وأخيرا، يخلع

كنت فى طفولتى بطبيعة الحال نزاعا تماما إلى الشك كنت أومن بالعلوم الطبيعية، على غرار القرن التاسع عشر، حيث كل شيء ميكانيكي ولما بلغت الخامسة عشرة لم أعد على يقين كان كل من فى جيلى تقريبا أصحاب يقين، ولكننى رفضت ذلك لم أومن بذلك

توماس ترانسترومر.. والمبدعون في العراق

مبدعون عراقيون أحتفوا به قبل ٥ سنوات وقدموا أشعاره على المسرح توماس ترانسترومر.. بطل جائزة نوبل هل أهنئ صديقي الشاعر عدنان الصائغ لمناسبة منح الشاعر السويدي (توماس ترانسترومر) جائزة نوبل للآداب لهذا العام، ام أعزي الشاعر" اودنيس" على الأحباط الذي وقع فيه لعدم حصوله على هذه الجائزة العالمية الرفيعة بعد ان ترددت الأنباء الى آخر لحظة على إنه سيحصل على الجائزة لا محال حيث إزدادت التكهنات التي تسربت من محيط الهيئة المشرفة على الجائزة الأممية. لكن الأكاديمية السويدية المانحة للجائزة حسمت الأمر وقالت كلمتها الفصل (إن الشاعر توماس ترانسترومر (٨٠ عاما) فاز بالجائزة لانه "يعطينا مدخلا جديدا للواقع من خلال صوره المكثفة الشفافة).

زيد الحلي

أما لماذا أهنئ الصديق الصائغ، فلأنه اول شاعر عراقي وعربي، أحتفى بالشاعر السويدي وأرتبط معه بصداقة حميمة، وأعلن أكثر من مرة عن شغفه به وأشاد بشاعريته وبُعد عطائه الشعري الإنساني والعالمي وذلك قبل خمس سنوات في أمسية شعرية جمعته بالشاعر(توماس ترانسترومر) في " مالمو" بالسويد في عام ٢٠٠٦ وأما تعزيتي للشاعر " أودنيس" فلأنه فقد فرصة في الحصول على الجائزة بعد ان كان على شفا حفرة منها، وأشارت الأنباء الى إنه تلقى النبأ بامتعاض لكنه داري ذلك بإبتسامة أعطت دلالات لاتخفى على أحد من المتتبعين والعارفين لنفسية الشاعر اودنيس الذي حلم بالجائزة منذ أن أسس منظومته الشعرية المعروفة..!

لـن أدخل في معمعة وتداعيات وأهداف الجائزة التي تشرف عليها (الأكاديمية السويدية) ولماذاتمنح لهذا الشاعر او ذاك المثقف في مجال الأدب، فهناك تكهنات وأقاويل عديدة رافقت منح الجائزة منذ البدء بتقديمها قبل سنوات عديدة، لكن السؤال البارز الذي واكب منح الجائزة لهذا العام هو إن التنافس الحاد للحصول عليها ينصب على قائمة الشعراء في المقام الأول بإستثناء قلة قليلة من فروع الأدب الأخرى، فهل هي مصادفة، ام هي جرعة من مصل الأنتباه لهذا النوع من الأدب وأعني به الشعر الذي أخذ ينسحب من حديقة الأبداع لصالح الأنواع الأدبية الأخرى.! ومنذ الخميس الماضي ٦ من الشهر الحالي (تاريخ الإعلان عن الجائزة)، و العالم منشغل فيها وتصدرنباها كل وسائل الأعلام العالمية، وهو أمر يحدث في كل عام، فجائزة نوبل تعني الكثير للفائز وتعني الكثير لدولته ولشعبه ولعائلته، فبكفي الفائز القول إنه حاز على جائزة نوبل حتى تفتح الأبواب على مصارعها امامه في كل مناحي الحياة..

فمبروك للشاعر (توماس ترانسترومر) الذي أصبح اليوم شاعراً عالمياً بعد ان كان شاعراً سويدياً يحظى بمحبة قراءه في بلاده، وفي قليل من دول العالم، حيث لم تحظى أعماله بالترجمة البارزة إلا في حيزها الضيق، وبالنسبة للقارئ العربي فأنه قليل المعرفة بالشاعر سوى من بعض ترجمات، لعل منها ــ حسب علمي ــ ما قام به الأستاذ نجم محسن لديوان الشاعر (رنين وآثار) والذي أنقل عنه ما قاله عن الشاعر:

(ولـدَ الشاعر توماس ترانسترومر في سنة(١٩٣١) ولم يعش كاديب متفرغ، اشتغل فترة من حياته في علم النفس في اماكن مختلفة من السويد ولم يساهم في اي نوع بما يسمى بالأدب السياسي. كان عنده طموح ان يكتب الشعر حول مهنته ومعاياشاته اليومية، في القصيدة الطويلة المسماة (صالة العرض) من ديوانه (حاجز الحقيقة) ١٩٧٨ نلتقي بانا‌س محملين بالمعاناة، كان الشاعر قد صادفهم في عمله كتفسانية.

حصل سريعاً على مكانة مرموقة في الشعر السويدي من خلال مجموعته الاولى (سبعة عشر قصيدة) ١٩٥٤ ومجموعته الثانية (اسرار في الطريق) ١٩٥٨. تميزت كتاباته الشعرية برشقات من صور لامعة حيث الاستعارات بايحاء دائم تقبض على الحركات المفاجئة والتغيرات السريعة "صور النجوم يسمع وقع اقدامها/ الى الاعلى هناك فوق الاشجار" قوة كبيرة وغير مفهومة تمر خلال الكون"

بعد مجموعتين صغيرتين استطاع الشاعر ان يتبوء مكانة رائدة في اوساط الشعراء الشباب. "ظهرت المجموعة الثالثة "سماء مفتوحة على النصف"١٩٦٢، ووصفها احد الصحفيين بانها "معجزة" مدافعا عن مكانته الشعرية". بالرغم من هذا وجد الشاعر في فترة من الوقت ان النقاشات والمعاني حول شعره انقسمت في السويد بينما تنامت شهرته خارج الحدود) لقد أتّهم (توماس ترانسترومر) مراراً بانه شاعر غامض وفي الأحيان شاعر " متدين" لكنه رد الأتهام في حوار صحفي أجراه معه الكاتب " كونار هاردنك" في عام ١٩٧٣ بالقول: ـ انا متحفظ في استخدام مثل هذه الكلمات، لكن نستطيع القول على الاقل، ان هذا النوع من الغوص من خلال معايشاتي الواقعية في اعمق اعماقي. يجعلني انظر الى الوجود كلغز كبير وهذا في بعض الاحيان، فيه شحنة ضخمة من هذا اللغز، لذلك لها طابع ديني، وهذه العلاقة غالبا ماتظهر في كتاباتي. لذلك فان هذه القصائد فيها شيء يشير كل الوقت الى شيء اكبر، فلعلل يوم عادي من ايامنا صلة غير منطقية. بتلك الاشياء المادية. والافت إن الشاعر (توماس ترانسترومر) حظيَ بتكريم "عراقي" متميز في عام ٢٠٠٦ حين قدم فنانون عراقيون مسرحية أعتمدت على أشعاره وأشعار الصديق الشاعر "عدنان الصائغ" وضع فكرتها وأخرجها الفنان "حسن هادي" وقدمتها فرقة "سكارابيه" على مسرح البلاديوم أحد أقدم المسارح السويدية، ويبدو إن هذا الأهتمام، كان إستقراء لمكانة الشاعر السويدي في الساحة الشعرية العالمية وقد نُشر في حينها ما يشير الى إن ممثلي فرقة "سكارابيه" عرفوا بأنفسهم بفيلم قصير، مونتير وتصوير: أحمد الصائغ، ومن انتاج الفرقة، طوله ١٣ دقيقة، تحدث عن سير العمل ويوميات الفنانين المشاركين من العرب والسويديين بطريقة حديثة وعفوية بعيدة عن الورق والمايكرفون. ومما ينبغي القول إن حائز جائزة نوبل للآداب أصيب بجلطة دماغية قبل ٢١ عاما جعلته عاجزا عن الحركة والنطق بسهولة، لكنها لم تستطع منعه من مواصلة الإبداع، فأصدر ثلاث مجموعات شعرية هي: "الذاكرة تنظر إليَّ" عام ١٩٩٣، "المركب الحزين" عام ١٩٩٦، و"اللغز الكبير" عام ٢٠٠٤ قصيدة للفائز بجائزة نوبل ومن شعر "توماس ترانسترومر" آخترنا هذه القصيدة وهي من ترجمة السيد ياسر عبد الله:

(ديـرٌ رهبـانٌ لامـعٌ بحدائقَ مُعلقة صُـورٌ معركـةُ الأفكارُ واقفةً "بـلا حراك كقطـع فسيفساءٌ في فنـاء القصْر عاليًا بطـول المنحـدرات تحَت الشمس - كانـتْ المَاعزُ ترعَى كلاَ النَّـار في الشرْفة في سُور من سَنا الشَّمس واقفًا كقوس تَـرْجـ مُـدنـدنـا في الضَبابِ هُنـاكَ، قاربُ صيـد في البَعيد تَذكارٌ نصر على الأمْواه... ٢ دغلُ الصُنوبرات البارد على المستنقـعِ الْمَسْجيّ المساوي لذاته دائمًـا ودائمًا مَأخوذٌ من قَبـل الظـلام لأقبَضَ ظلاً عظيمًـا في عينيْنِ اثنتـيْنِ حجارةُ التَـذكارات تلـك كانتْ قـد مَضَتْ في رحلة تسـعُ صوتَ حمـام الأيْـك... ٣ مُسْتريحًـا على رفِ في مُكتبة الحمقى كتـابٌ المواعـظ- لم يُمَسّ سعادتـي زادتْ و الضفادعُ غنتْ في بـرك في بوَميرانيـا[١] إنـه يكتبُ، يكتبُ، يكتبُ القنـواتُ فاضتْ بالصَمـغ المركبُ البخاريُ عَبَر نهـرَ الجحيم إمْض صامتًـا كمطر إلتقِ بأوراق الشجر الهامسةُ إسمعْ جرسَ الكرمُلـيين... ٤ شـقَ السّقفَ انفتـحَ و الرّجـلُ الميتُ يراني ذلـك الوجْـهُ شيءٌ ما قد حَـدَثَ أضـاءَ القمرُ الغرفـة الربُ يعلـمُ ما جَرى أسمـعُ المطرَ المتهَدّجَ أهمسُ سرًا لأصل إلى كُلّ الطريـق إلى هناك مُشهـدٌ على الرّصيف يا لهُ من هدوء غريـب - ذلكَ الصوتُ الداخليُ... ٥ حائطٌ هوَ البحرُ أسمعُ النوارسَ تبكي إنها تلوّحُ لنا ريحُ الرّبّ على ظهري الطلقة التـي أصابتْ دونَ صَوت حلمٌ طويل جـدًا بمعنًى الكلمة صمتٌ بلون الرّماد يعبرُ العـلاقَ الأزرقَ نسيمٌ باردٌ مِنَ البحـر كنتُ هُنـاك - وعلى حائط مطليّ بالأبيض تتجمّعُ الفراشاتُ تجارُ طيورِ أشجارُ التفاح مُزْهرةُ اللغزُ الكبيرُ)

توماس ترانسترومر ولغــزه الكـــبير..

كتابة وترجمة نجم خطاوي

منذ صدور مجموعته الشعرية الأولى (أسرار في الطريق) عام ١٩٥٤، يواصل الشاعر السويدي توماس ترانسترومر إبحاره في عالم الشعر الجميل والمضني، وبالنفس نفسه والقوة الشعرية التي تعود قراء شعره ومتذوقيه إحساسها، وهو وإن هدّه المرض وأعياه، يبقى في الكم القليل الذي يكتبه قامة من قامات الشعر في السويد والعالم.

مجموعته الشعرية الجديدة (اللغز الكبير) هي آخر ما صدر للشاعر، وقد صدرت عام ٢٠٠٤ وفي وطنه السويد، وعن دار النشر ALBERT BONNIERS.

إن ما يميز هذه المجموعة هو الإفراط في اختزال الجمل مع المراعاة الشديدة للدلالات العميقة لكل جملة، بل لكل مفردة. وإن الاستنتاج الأول الذي يخرج به قارئ هذه المجموعة هو أنه يقرأ لرجل يصوغ الأساور والأقراط، مادته الذهب، وجمالية مصوغاته، تلك التجربة الغنية التي راكمها سنيناً وهو يكتب الشعر.

مجموعته الشعرية هذه لا تتجاوز صفحاتها التسعين وهي من الحجم الصغير جداً. ولن يستغرق القارئ كثيراً لو أراد عد جمل القصائد لا بل حتى عد كل كلمات المجموعة. هذه القصائد كتبت على شاكلة الكتابة الشعرية التي شاعت في اليابان والتي عرفت بالهايك، وهي تؤلف أغلب قصائد المجموعة عدا القصائد الخمس التي في المقدمة. وقد أسماها (قصائد الهايك) وهي بحق قصائد الهايك ولكن بلون وطعم سويدي.

ربما ستكون تجربة الشاعر الشعرية المهمة هذه ومجموعته الشعرية طريقاً تقربه من جائزة بلده (نوبل) التي حرم منها جورا ولسنوات طوال.

سأحاول جاهداً نقل أو ترجمة بعض قصائد هذه المجموعة مستعيناً بسنواتي العديدة التي قضيتها في بلد الشاعر قارئاً ومتذوقاً لشعره وبتجربتي البسيطة في عالم الشعر فرغم صغر حجم هذه القصائد واختزال كلماتها فإن ترجمتها تبقى أصعب وأعقد من قصائد وأشعار غيره.

إمضاءات

العتبة السوداء هذه
عليّ اجتيازها.
صالة..
الوثيقة البيضاء تضيء.
مع
جموع الظلال المتحركة
الجميع يريد الإمضاء.

ألحق بالضوء
طاويا الزمن.

الثلج يسقط

تتقادم المقابر
متكاثرة
كدالات الطرق
حين اقتراب المدن.
في ظلال البلد المترامية..
جسر يتكون
ببطء
هناك بعيداً في الفضاء.

واجهات

١
في نهاية الطريق
أرى السلطة
وهي شبيهة بالبصل
بوجوه مبرقعة
تتكشف واحدة تلو الأخرى...
٢
منتصف الليل..
المسارح أقفلت.
في الواجهات تشع الكلمات
مؤشرة للغز الرسائل
التي تغطس عبر برودة الشعاع.

تشرين الثاني

يصير الجلاد خطيراً حين يغضب.
السماء المحترقة تتكور.
من زنزانة لأخرى
تسمع الطرقات
ومن الجليد الصلب
ينتفض الماء.
بعض أحجار تضيء كالبدور.

ملاذ النسر

خلف الأواني الزجاجية
غريبة تبدو الزواحف
دون حراك.
امرأة تعلق غسيلها
في صمت.
الموت صمت الريح.
في أعماق الأرض
تشع روحي
صامتة كالشهاب.

قصائد الهايك

جدار اللاجدوى...
تأتي الحمامات وترحل
دون ملامح.
.....
صامتة تقف الأفكار
كلوحة موزائيك
في حديقة قصر.
.....
واقفة في الشرفة
في قفص من شعاع -
كقوس قزح.
.....
مدن مضيئة:
صوت، قصص، رياضيات -
لكنها مختلفة.
.....
ريح كبيرة وبطيئة
من مكتبة البحر
هنا يمكنني الاسترخاء.
.....
ريح الله في الخلف
رصاصة تأتي دون صوت -
حلم طويل جدا.
.....
البحر سور.
أسمع النوارس تصرخ -
تلوح لنا.
.....
معجزة
شجرة التفاح العجوز.
البحر قريب.
.....
سماع زخات المطر.
سأهمس في سر
لأكون هناك.
.....
حدث مرة.
خارج الغرفة أضاء القمر.
والإله كان يعرف ذلك.
.....
تطلع لي وكيف أجلس
كقارب مركون على اليابسة.
هنا سعيد أنا.
.....
سر صامتاً كالمطر،
إلق ورق الشجر الهامس..
تنصت للساعة في القرم.
.....
سواد هائل.
قابلت ظلاً كبيراً
في عينين.
.....
طيور الناس..
شجرة تفاح مزهرة.
ذلك اللغز الكبير.

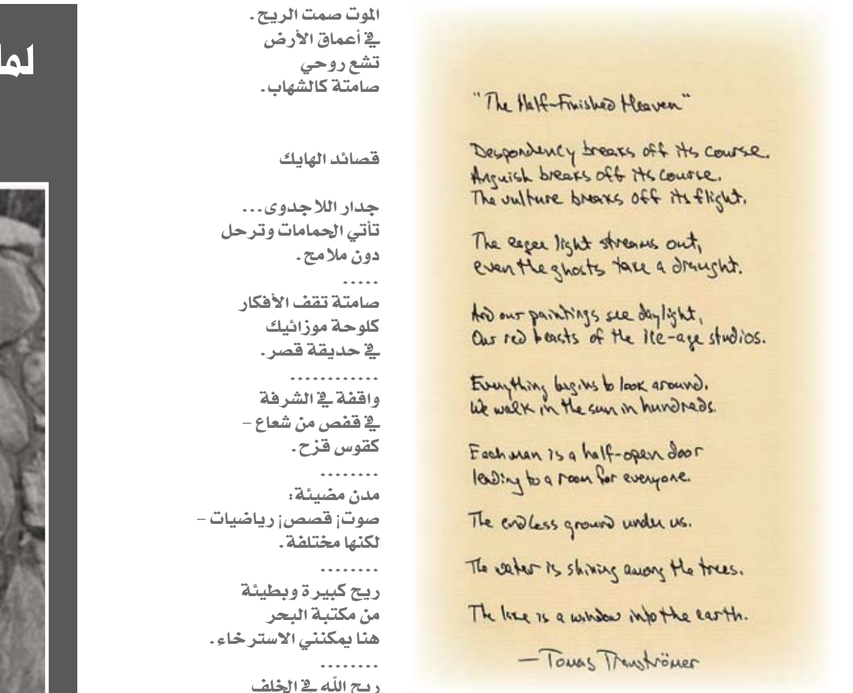

"The Half-Finished Heaven"

Despondency breaks off its course.
Anguish breaks off its course.
The vulture breaks off its flight.

The eager light streams out,
even the ghosts take a draught.

And our paintings see daylight,
Our red hearts of the Ice-age studios.

Everything begins to look around.
We walk in the sun in hundreds.

Each man is a half-open door
leading to a room for everyone.

The endless ground under us.

The water is shining among the trees.

The lake is a window into the earth.

—Tomas Tranströmer

لماذا توماس ترانسترومر؟

ترجمة. عبد الحسين المرشدي

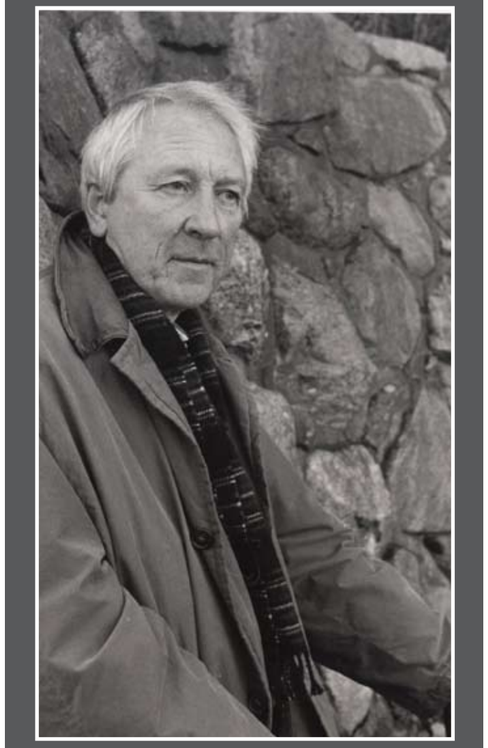

الشاعر السويدي توماس ترانسترومر (٨٠ عاما) له مكانة مختلفة عن الكتاب المعروفين الآخرين بما في ذلك فيليب روث وجويس كارول وكورماك مكارثي وبوب ديلان وهاروكي موراكامي وادونيس، عطاؤه يتصل مع أنفسنا، ذو نظرة ثاقبة لعقل الإنسان تدرجت في أشعاره في كثير من الأحيان بأسلوب سريالي خفي متعدد الأوجه ذو صور شعرية مكثفة وشفافة تعكس رؤى حقيقية للواقع وتستكشف الرؤى الصوفية في العقل البشري وعلاقتها مع الطبيعة من خلال التركيز على القضايا التأملية الكونية بالإضافة إلى المشاهد الحية للمناظر الطبيعية في قصائده التي وصفت بأنها اجتماع الأماكن حيث الظلام والنور مما أكسبته إشادة غير عادية باعتباره واحدا من أهم الشعراء الاسكندنافيين بعد الحرب العالمية الثانية. وبالرغم من قلة إنتاجاته الشعرية والتي يمكن أن تجمع في كتاب الجيب إلا انه استطاع ومنذ ديوانه الأول (سبعة عشر قصيدة) الذي أصدره عام ١٩٥٤ أن يفرض اسمه في طليعة شعراء الخمسينيات ثم تتابعت مجموعاته الشعرية بعد ذلك مثل أسرار على الطريق عام ١٩٥٨ ونصف سماء منتهية عام ١٩٦٢ والنوافذ والحجارة عام ١٩٦٦ والممالك عام ١٩٧٣ ونصف جنة منتهية عام ٢٠٠١ واللغز الكبير عام ٢٠٠٤ وصوت الحرية عام ٢٠١٠ بالرغم من إصابته بشلل نصفي وصعوبة بالنطق اثر سكتة دماغية ألمت به عام ١٩٩٠.

ترجمت أعماله إلى أكثر من ٦٠ لغة في العالم وحاز على العديد من الجوائز الأدبية العالمية منها جائزة بيلمان عام ١٩٦٦ وجائزة بيترارك عام ١٩٨١ ونويشتاد انترناشونال برايز عام ١٩٩٠ ثم جائزة نوبل للأدب لهذا العام ليصبح الحائز على جائزة الأدب ١٠٤ عالميا والأوروبي الثامن في غضون السنوات العشرة الماضية بعد الألمانية هيرتا مولر عام ٢٠٠٩ و الكاتب الفرنسي لوكليزيو عام ٢٠٠٨ والروائية البريطانية دوريس ليسينغ عام ٢٠٠٧.

ولد في ستوكهولم عام ١٩٣١، بدأ كتابة الشعر مبكرا في سن السادسة عشرة، درس الأدب والتاريخ والدين وعلم النفس في جامعة ستوكهولم وتخرج منها عام ١٩٥٦، عمل كطبيب نفسي في مركز إصلاحي للشباب، يعيش في هذه المدينة الجميلة مع زوجته مونيكا وابنتيه.

(عن كريستيان ساينس مونتر)

http://www.almadapaper.net - E-mail: almada@almadapaper.net

مع أشعار ترانسترومر

عزيزي حسين:
اقتنيت نسخة ـ دار الجمل ـ من المجموعة الكاملة لأشعار الشاعر السويدي توماس ترانسترومر (الفائز بجائزة نوبل للآداب ٢٠١٢) لأهديها إليك، وخلال مدة احتفاظي بها قرأت قصائد المجموعة، فتعلّق قلبي بها، حتى امتدّت يدُ (الأمل) وانتزعتها مني: "ثمة من يحتاجها أكثر منك". فهاكها مع نياط قلبي!

في الغابة، حيث العزلة والصوت المفقود، نشعر عميقاً بوجود (الأمل). الصخر المنحوت، الشجر القديم، الطحالب، الدروب المضللة، الضوء الشحيح، كلها ممرات إلى (الأمل). أنت طريح الفراش، مثل ترانسترومر، ضالّ الغابة، في أمسّ الحاجة إلى (أمل) الغابة.

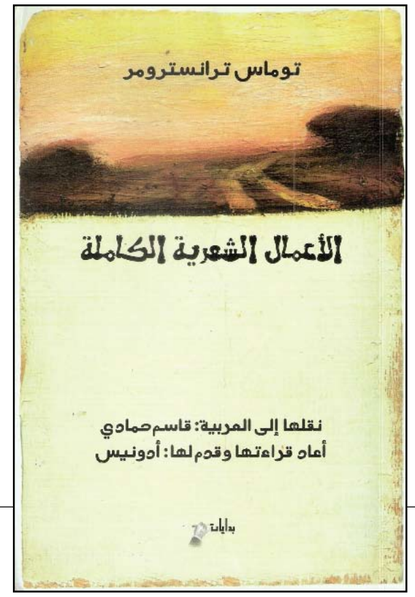

محمد خضير

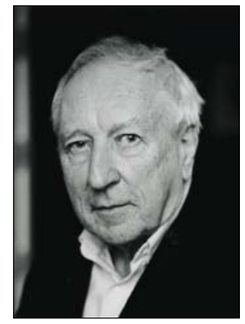

سفينة تقترب بركابها ليلاً من ساحل جزيرة، راكب وحيد يهبط منها ويتجه في وسط الظلام إلى كوخ مهجور، يستلقي على ظهره فوق الفراش، يسمع صوتاً يضرب الجدار الحاجز، يطلب العودة من العالم الآخر، ولا جواب على طلبه. لكن صباح الغابة يأتي بغصن أسمر بورقات ذهبية، جذر يزحف، صخور لها وجوه، الغابة مأوى بكائنات وحشية بلا قيود، هذا هو موضوع قصيدة (بداية رواية لليلة في نهاية الخريف، ص ٢٣٤). إنها قصيدة (الأمل)، أمل العودة من العالم الآخر.

قصيدة أخرى تتحدث عن أرشيف لا يهرم (ص ٢٣٢) يحوي في أحشائه الأسماء الشائخة والميتة، لكن الأرشيف نفسه يظل شاباً لا يهرم ولا يموت. هاجر أحبّاء لنا إلى بلاد السويد، ودخلوا هذا الأرشيف، حتى بعد أن تحولوا إلى تماثيل ثلج. بموجب قانون هذا الأرشيف تتساوى الكائنات جميعها (الإنسان والخنفساء على حدّ سواء) بحق البقاء في الغابة، أو الخروج من ظلمتها إلى ضوء النهار. نهتدي بهذا القانون، كما اهتدى أحبابنا الراحلون الذين دخلوا أرشيف الشاعر السويدي قبلنا، ولم يرجع إلينا أحد منهم.

الطبيعة الأم تعلمنا الاقتداء بقانون الأرشيف السويدي (شعرك أيضاً جزء من هذا القانون). ألم تلحظ فقر الشعر (فقر الأدب بأنواعه) عندما تخلّى عن هذا القانون؟ أين حبّ الآخر حين يفتقر شعرنا إلى حبّ الطبيعة؟ ما (العالم الآخر) الذي يبعث إلينا بأصواته الخافتة، إن لم يكن عالم الأسماء التي سقطت كأوراق الشجر في صبيحة خريف؟ الأسماء التي يحتويها أرشيف الشعر؟ الشعر خالد بهذه الديمومة الطبيعية، حين تقدم أصواته من وراء الحاجز الطبيعي للعالم الآخر، أليس الشعر رحلة إلى ما وراء الطبيعة أو قدوم من هناك، في حقيقة وجوده الطبيعي؟

إنّ بقي شعرُ ترانسترومر حياً، فذاك لقدومه من وراء الحدّ القائم بين العلم الطبيعي والتفلسف ما وراء الطبيعي، حسب قراءة أدونيس في مقدمة المجموعة. إن الطبيعة خير هدية وصلتنا، وصلتك، من عالم ما وراء الغابة، في هذا الظرف، ظرفنا، ظرف مرضك.

ليست الغابة وحسب، بل الجليد أيضاً، قادر على إنضاج روح الشعر، كما ينضجه مناخنا الحار الرطب. لا نشعر بالثلج في شعر ترانسترومر إلا عندما يتكلم عن الصيف. صيف ترانسترومر مزهر وأزرق وطري وبهيج. تتعاقب قصائد الصيف والشتاء مع قصائد الخريف بامتزاج ترابطي متبادل. قصائد الخريف تذكرنا باتساع البحر، وإبحار السفن، وصلادة الصخور، وتعلق الأشجار، وغيرها من المظاهر التي أهملتها قصائد الصيف والشتاء. وبهذا فإن قصائد ترانسترومر تنمو في كل الفصول (باخضرار داخلي) لا تلحظه العين. وقد تختصر قصيدة واحدة عبور الفصول المتنوع، في منظر خارجي طويل (قصيدة خاتمة، ص ٤٩). وأعتقد أنك لن تضبط (أمزجة) الشعر النادر إلا إذا وزنتها بميزان الطبيعة السويدية.

ثم تُذكر الموسيقى، لكي تكتمل رباعية الديوان السويدي، الغابة والجليد والموسيقى، ومطلقها الرابع الشعر، يقدمها ترانسترومر بخفة ضارب سكاكين في السيرك، أو لاعب بيانو يعشق (الألحان الحرة). ليتني صنعتُ من الأبعاد الأربعة مجسماً صغيراً، صندوق موسيقى، أهديه إليك مع الديوان الجامع، يدور على محور خفيّ وراء الجدار الطبيعي للعالم الآخر، ويعزف لحناً منفرداً حراً على البيانو، بيد واحدة سليمة. (كان البيانو الأسود، هذا العنكبوت البرّاق، يرتجف في وسط شبكته الموسيقية) (قصيدة حلم بالاكيرف، ص ٧٥).

الموسيقى هي لك، لنا، تمنحنا الثقة بأشياء لا يلحظها غيرنا في الحياة، تأخذ بيدنا مثل (دراپزين أعمى يعرف وجهته في الظلام)، مثلاً موسيقى شوبرت التي (تتدفق مثل نهر في ثقب إبرة) أو (تدبّ مثل حياة بألف رجل) إنما صُممت من أجلنا (نحن الصاعدين من الأعماق) لا من أجل أولئك البطوليين، القتلة، تجار البشر، فهم لن يروا أنفسهم في موسيقى شوبرت. وسواء كنا من سكان مدينة نيويورك التي تبدو مثل (مجرة لولبية) معبأة في المترو، أم من سكان مدينة مطفأة في جنوب العالم، يتساوى لديهم (الفرح والعذاب في ميزان لحن طباقيّ) و(أبناء وأصدقاء راحلين معلقة على جدران كوخه البحري. وأيضاً تتجلى في أحلامه ورؤاه التي تستلقي (كظل يرقة يعسوب في قعر ماء البحيرة العكر). استهلك ترانسترومر لغته الشعرية كمترحلق جليد، واسع الحركة، استهلك عجلات قدميه، فهو يرى دائماً ضرورة استبدالها. (تمشي اللغة على إيقاع خطوات الجلادين، لذا ينبغي أن نبحث عن لغة جديدة). (قصيدة خدمة ليلية، ص ١٧٢).

ستلاحظ ـ صديقي الشاعر ـ أنّ لا تطور شعرياً أو فروقاً نوعية تفصل ديواناً عن الآخر، للشاعر ترانسترومر. فقصائده تنتقل على طول موجة تنأى عن ساحلها ثم تعود وتقترب منه في دأب شعري لا يتغير. ولطالما واجهتُ شاعرنا الراحل محمود البريكان بمثل هذا الإحساس، وأبديتُ له وجهة نظري بانتفاء الضرورة التي تدفعه إلى تأريخ قصائده بعام محدد. فقصائده، هو الآخر، لم تشهد تطوراً أو تنوعاً كبيراً منذ عام ١٩٥٦. وأظن الشعراء العظام يولدون وينطفئون، فيما تظل قصائدهم ممددة على ساحل زمنها غير المؤرخ، إن الطبيعة تتناقض تماماً مع التاريخ، تناقض الأصل مع الصورة. يلاحظ ترانسترومر بذهول أن الشاعر يتقلص ويصغر، فيما تكبر قصيدته وتأخذ مكانه. (قصيدة طيور الصباح، ص ١٣٦). تنطوي صفحة الشاعر، فتحتل القصيدة صفحته في الأرشيف العظيم للطبيعة.

ختاماً، تحتوي مجموعة أشعار ترانسترومر على قصائد هايكو، أظنها ستعجبك، كما قد تعجب شعراء عراقيين منحدرين من أصل ياباني! يسرني أن أختم رسالتي بواحدة منها (ص ٢٢٣)

" حياة أحرفُها خاطئة ـ
لا يزال الجمال حياً
كمثل الوشم

ترانسترومر.. على مشارف الوعي

فوزي كريم

أروع ما في الشاعر السويدي توماس ترانسترومر (مواليد ١٩٣١)، الحاجز على جائزة نوبل قبل أيام، أنه كان مُتهماً من أبناء جيله والأجيال التالية بأن ظل في منأى عن موجات المواقف السياسية، وموجات الأهواء الأدبية وتياراتها. وأنه، لكي يعزز هذا المنأى ألزم صوته الشعري لغة بسيطة، تنتفع من الحياة اليومية. ولكن هذا المنحى كان فريداً في محاولة الوثب الرشيق من العالم الواقعي المحيط إلى مجاهل العالم غير المنظور. من عالم الوعي إلى عالم اللاوعي، من المرئي إلى اللامرئي. شعره يراوح على عتبة الشعور:

منتصف الشتاء
ضوءٌ أزرق / يشعُّ من ثيابي.
منتصف شتاء./ دفوف ثلج تصلصل./ أُغلق جفني.
ثمة عالم صامت هناك
ثمة ثرثرة
حيث الموتى/ يُهرّبون عبر الحدود.

خلاف بشأن فوزه، ولكنه خلاف معهود لم يصل إلى الخلاف الذي عرفه فوز الشاعر الإيطالي كوازيمودو عام ١٩٥٩، بسبب الحضور المؤثر لشاعر إيطالي آخر من جيله هو مونتالي. في السويد لا أحد يعلو شعرياً على صوت ترانسترومر. ولعل الأمر يتجاوز السويد. فقد حصل الشاعر على تسع جوائز قبل نوبل، وله أكثر من ١٨ ترجمة شعرية في الانكليزية وحدها. واتسعت ترجماته إلى أكثر من ٦٠ لغة عالمية. وبقي ترشيحه لجائزة نوبل قائماً، وهو في بيت مجاور لبيت لجان التحكيم، منذ ١٩٩٣. وعبر كل هذا ظل ترانسترومر أكثر الشعراء العالميين سكينة وانتفاعاً من العزلة. لم ينتسب إلى المناخ الأكاديمي بالرغم من تخصصه في علم النفس، واكتفى بالتدريس في مركز جنايات الأحداث وكتابة الشعر. وعزز منعة الشاعر فيه بالانصراف الرائع للموسيقى، إذ كان عازفاً ماهراً على آلة البيانو، لا مع النفس، بل في الأبهاء العالمية للعزف. ومن فرط تواضعه أنك لو اطلعت على موقعه الشخصي البسيط والفقير، ستجد إعلان فوزه قد ورد بالصورة الآتية: "الشاعران أدونيس وتوماس ترانسترومر المفضلان لنيل جائزة نوبل". لا في الإعلان عن أدونيس حسب، بل في تقديم اسم الشاعر العربي عليه.

المؤسف أن الشاعر الموسيقي، الذي يعتمد اللسان وأصابع اليد في القراءة والعزف، أصيب عام ١٩٩٠ بالجلطة الدماغية التي شلّت لسانه ويده اليمنى. ولكنه واصل الشعر كتابةً، والموسيقى عزفاً باليد اليسرى وحدها.

بعد وفاة
مرّة حدثت صدمةٌ
تركت وراءها ذيلَ مُذنّب طويل واهنِ الومض.
تطويناـ الصدمة داخل أنفسنا. وتجعل مشاهدَ التلفاز بيضاءَ بفعل الثلج.
وعلى أسلاك التلفون تستقر في قطراتٍ باردة.

مازال أحدنا يملك أن يتزلج بطيئاً تحت شمس الشتاء
عبر أجمة بأوراق متشبثة.
تشبه صفحات منتزعةً من دليل تلفون عتيق
وقد ابتلع أسمَاءها البرد.

جميلٌ أن تشعر بالقلب وهو ينبض
ولكن الظل في أحيان كثيرة يبدو أكثر واقعاً من الجسد.
السامورائي يبدو لا أهمية له
إلى جانب درع له من وزن التنين الأسود.

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
خالد خضير

التدقيق اللغوي
محمد حنون

صارات
طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

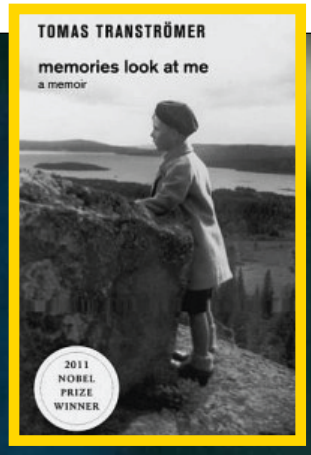
TOMAS TRANSTRÖMER
memories look at me
a memoir
2011
NOBEL
PRIZE
WINNER

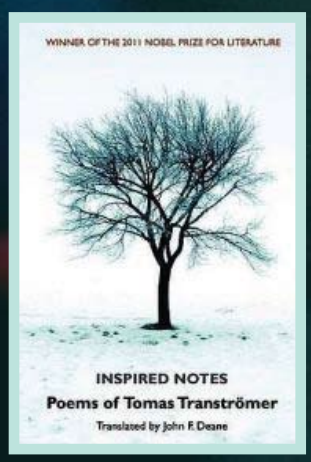
WINNER OF THE 2011 NOBEL PRIZE FOR LITERATURE
INSPIRED NOTES
Poems of Tomas Tranströmer
Translated by John F. Deane

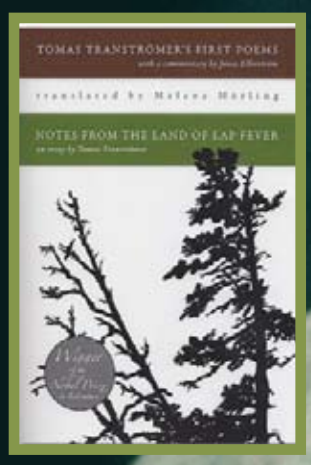
TOMAS TRANSTRÖMER'S FIRST POEMS
translated by Malena Mörling
NOTES FROM THE LAND OF LAP FEVER

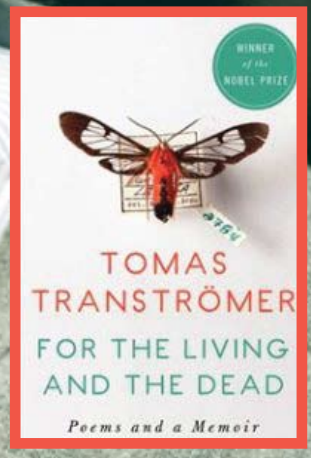
WINNER
of the
NOBEL PRIZE
TOMAS
TRANSTRÖMER
FOR THE LIVING
AND THE DEAD
Poems and a Memoir

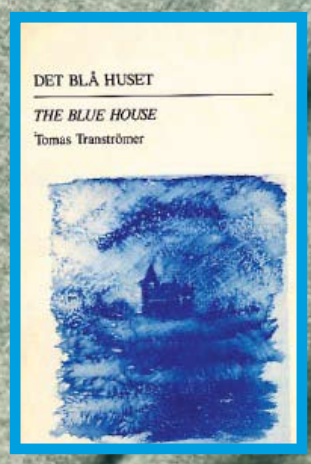
DET BLÅ HUSET
THE BLUE HOUSE
Tomas Tranströmer

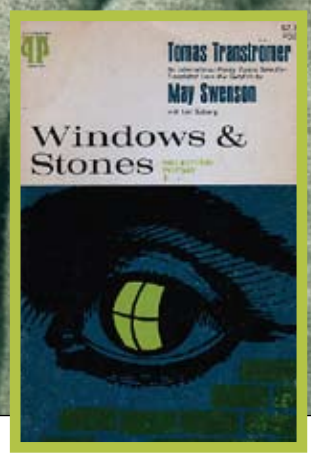
Tomas Tranströmer
May Swenson
Windows &
Stones